تشتمل على ثلاث صور

تعرف الأماكن المقدسة والمساجد القديمة والجبال التى فى مكة المكرمة كما تبين أوقات الدعاء وساعاته

obeikandl.com

تذكر وتعرف الأماكن المقدسة والمواقع الميمونة

كتب العلماء المتقدمون رسائل فى تعريف الأماكن المباركة كل واحد على حدة، مبينين الساعات التى يلزم الدعاء فيها والأيام أيضا، وقد رأينا أن الحسن البصرى قد أبلغ عدد الأماكن المباركة التى يستجاب فيها الدعاء إلى خمسة عشر مكانًا مع ضم منى والجمرة[١] إلى هذه الأماكن وقد عدد صاحب كتاب «النهر» أسماء تلك الأماكن فى هذ النظم.

دعاء البرايا يستجاب بكعبة

وملتزم والموقفين[٢] كذا الحجر

طوافٌ وسعىٌ مروتين[٣] وزمزم

مقام[٤] وميزاب[٥] جمرات[٦] تعتبر

وبين لنا الشيخ عبد الملك بن جمال الدين الأدعية التى تستجاب فى هذه الأماكن وأيام استجابتها وساعاتها كما وصل إليها النقاش بعد المناقشة والبحث فى هذه المنظومة.

(١) إن لم تكن منى والجمرة فى داخل مكة إلا أنهما بناء على حكم ما قارب الشىء كالشىء عدتا من داخل مكة.

(٢) الموقفان كناية عن جبلى الرحمة والقزح وقد يوقف هنا فى وقفة عرفات.

(٣) المروتان المقصود بهما الصفا والمروة وقد غلب التأنيث على التذكير للضرورة.

(٤) مقام المقصود به المكان الذى صلى فيه أئمة المذهب الشافعى ويقع فى الجهة الشرقية من شبكة مقام إبراهيم.

(٥) يقصد به أسفل الميزاب الذهبى.

(٦) جمرات المقصود بها مواقع الجمرات الثلاث فى منى.

obeikandl.com

وقد ذكر النقاش[1] فى المناسك وهو لعمرى عدة للسالك أن الدعاء فى مكة يقبل ممن ذكره فى خمسة عشر موضعًا وهى، كما جاء بهذه المنظومة:

إن الدعاء فى خمسة وعشره
بمكة يقبل ممن ذكره
وهى: المطاف مطلقا والملتزم
بنصف ليل فهو شرط ملتزم
وداخل البيت بوقت العصر
بين يدى جذعيه ذا فاستعر
وتحت ميزاب له وقت سحر
وهكذا خلف المقام المفتخر
وعند شرب زمزم شرب الفحول
إذا دنت شمس النهار من الأفول
ثم الصفا والمروة والمسعى
بوقت عصر فهو قيد يرعى
كذا منى فى ليلة البدر إذا
انتصف الليل فخذ ما يحتذى
ثم لذى الجمار والمزدلفة
عند طلوع الشمس ثم عرفه
لموقف مغيب الشمس قل
ثم لذى السدرة ظهرا وكمل
وقد روى هذا الوقوف طرا
من غير تقييد بما قد مرا
بحر العلوم حسن البصرى عن
خير الورى ذاتا ووصفا وسن

(١) المقصود به المفسّر النقاش وهو أبو بكر محمد المتوفى ٣٥١.

صـلى الله عليـه وسـلما

وآله والصحـب ما غيـث همـا

وقد أضاف مؤلف «لباب المناسك» إلى الأماكن التى عينها الحسن البصرى ثلاثة أو أربعة أماكن أخرى، وقد وصل العلماء عدد الأماكن المقدسة إلى مائة، وذلك بإضافة كل واحد منهم موقعا مؤيدا قوله بحديث صحيح متواتر.

وقال مؤلف لباب المناسك: إن الأدعية التى يدعى بها فى تلك الأماكن تستجاب بفضل الله وتقبل، ولكن مع مرور الزمن نسى مواقع تلك الأماكن وجهاتها، ولقى بعضها فى داخل مقبرة المعلى والمعروف منها الآن بين الأهالى قد يصل إلى خمسة وسبعين موقعا فقط كما سيذكر فيما بعد.

المواقع التى اتفق العلماء على أن الدعاء يستجاب فيها

[١] المطاف السعيد [٢] الملتزم [٣] تحت الميزاب الذهبى [٤] مقام إبراهيم [٥] حفرة المعجن [٦] داخل كعبة الله [٧] بئر زمزم [٨] الصفا [٩] المروة [١٠] المسعى [١١] منى [١٢] الجمرات الثلاث [١٣] خلف المقام [١٤] ضريح ابن الزبير [١٥] ضريح ذات النطاقين [١٦] ضريح عبد الرحمن [١٧] مسجد أبى بكر [١٨] مسجد الصخرة [١٩] مسجد المشعر [٢٠] الحجر الأسود [٢١] الموقع الذى يرى منه بيت الله [٢٢] حجر إسماعيل [٢٣] المستجار [٢٤] ما بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم [٢٥] جبل الرحمة [٢٦] باب بنى شيبه [٢٧] باب إبراهيم [٢٨] باب النبى [٢٩] باب الصفا [٣٠] مسجد خيف [٣١] مسجد المنحر [٣٢] مسجد البيعة [٣٣] غار المرسلات [٣٤] مغارة الفتح [٣٥] دار السيدة خديجة [٣٦] مسجد الشجرة [٣٧] مسجد النمل [٣٨] الركن اليمانى [٣٩] قبر خديجة [٤٠] قبر سفيان بن عيينة [٤١] قبر آمنة [٤٢] قبر فضيل ابن عياض [٤٣] باب الجرير [٤٤] دار أرقم [٤٥] الحجر المتكلم [٤٦] الحجر المتكى [٤٧] رباط موفق [٤٨] مسجد ذى طوى [٤٩] مسجد التنعيم [٥٠] مسجد عائشة [٥١] مسجد الجن

[٥٢] مسجد الراية [٥٣] مسجد مدعا [٥٤] قبة اللبن [٥٥] مسجد النمرة [٥٦] مسجد الجعرانة [٥٧] مسجد الفتح [٥٨] مسجد جنيد [٥٩] مسجد الإجابة [٦٠] جبل أبى قبيس [٦١] جبل النور [٦٢] غار ثور [٦٣] جبل خندمة [٦٤] جبل ثبير.

الأثر الأول: المطاف الشريف:

هو الرصيف العريض الذى يحيط بالكعبة المعظمة من جوانبها الأربعة. إن مساحة هذا الرصيف السطحية المربعة (٢٧٦٢) قدما والمحل الذى يطلق عليه المطاف داخل القناديل التى علقت على الأعمدة حول الرصيف، والحجاج الكرام يطوفون عادة فى هذا المكان. إن المسافة كما وضح فى الوجهة الخامسة من شبكة مقام إبراهيم إلى شادروان الكعبة ٢٨ قدمًا، ومن المقام الحنفى إلى جدار الحطيم ٣٣، ومن المقام المالكى إلى شادروان الكعبة ٤٤، ومن المقام الحنبلى إلى شادروان التى تحت الحجر الأسود ٣٥ قدما، وبناء على هذا الحساب فإن طرفا المقام المالكى أوسع جهة مطاف الكعبة المشرفة.

الشادروان:

يطلق اسم شادروان بين أهالى مكة على الجدران التى تلاصق أرض المطاف: إن هذه الحجارة البارزة جدار صغير لترصين البناء كالسد، وإنه مثل خلخال العروس الذى يحيط دائرًا ما دار بالبيت الشريف، ومثل سوار معاصم البكارى، وعليه حلقات متعددة لربط كسوة الكعبة، وإن هذه الحجارة البارزة التى يطلق عليها شادروان تحيط الكعبة من جهاتها الثلاث من الشرق والغرب والجنوب، لكن الجهة الشمالية تخلو من الشادروان. وإن كانت بعض الحجارة تبرز من ناحية حجر إسماعيل. إن هذه الحجارة تعد من داخل الكعبة المعظمة، فلا يقال لها شادروان. وارتفاع الشادروان وجدرانه فى بعض الجهات يصل إلى قدم و١١

بوصة، وفى بعض جهاتها إلى ذراع واحد وقدم ٨ بوصات، وعرض بعض جهاتها يصل إلى ١١ بوصة، وجهاتها الأخرى تسعة بوصات.

مسائل مهمة:

وبناء على رأى أئمة الحنفية فإن الشادروان لا يعد من الكعبة المعظمة، لأنه حجارة قد ألصقت ببناء الكعبة لتقويته وتدعيمه، وبناء على رأى علماء المذهب الشافعى فإن شادروان يعد من الكعبة المعظمة لأنه امتداد لأساس بيت الله المعظم العريض. حينما جددت طائفة قريش قد رفعت أساس بيت الله عن الأرض ثلاث أصابع، ثم رفعوا جدار كعبة الله من الخارج.

إن الطواف ببيت الله يتوقف على وجود الطائف فى داخل الحرم الشريف، لأن الطواف من خارج المسجد الحرام يعد طوافا بالمسجد وليس بالكعبة ولذلك لا يجوز. ولا يطرأ ما يفسد الطواف للذى يتركه لأداء الصلوات المفروضة أو لأداء صلاة الجنازة أو للوضوء، فعندما يختم هذا العمل يبدأ الطواف من حيث تركه، وفى غير هذه الحالات يبطل الطواف ويجب البدء من جديد.

إن القناديل حول المطاف توضع على خمسة وثلاثين عمودا اثنان منها من الرخام والباقى من النحاس الأصفر.

والأعمدة الرخامية بالقرب من أبنية مقام إبراهيم، والباقى يحيط بجوانب الكعبة الأربعة وتعلق عليه القناديل، وبما أن الأعلام التى وضعت فوق الأعمدة قد ساء منظرها، وأوقعت على الأرض بمرور الزمن فوضعت عليها أعلام من الصفيح، ونزع أحمد أفندى مدير الحرم الشريف سنة (١٢٩٦هـ) تلك الأعلام وصب أعلاما جديدة جيدة وضعها فوق الأعمدة كل ذلك فى ظل المبرة السلطانية.

ولم يكن فى أى جهة من جهات الكعبة قنديل إلى عهد معاوية، وفى سنة

(٤٤) أوقد معاوية العدد الكافى من القناديل، ومد تلك القناديل بالكمية الكافية من زيت الزيتون وأصبح هذا عادة.

بعد إحدى وثلاثين سنة من ذلك ركز عبد الملك بن مروان بالقرب من بئر زمزم عمودا، وعلق عليه قنديلا كبيرا لينير المطاف للذين يطوفون بالبيت ليلا.

بعد ما وضع معاوية بن أبى سفيان نظام إيقاد القناديل، أعطى أرطال من الطيب لتعطر كعبة الله عقب كل صلاة، وأبقى ابن الزبير على هذا النظام، إلا أنه استصوب أن تعطر الكعبة فى الأيام العادية برطل من الطيب، وفى أيام الجمع برطلين.

لم يوقد قنديل ولم ينصب عمود واحد حول المطاف الشريف إلى عصر الواثق بالله العباسى، وفى سنة (٢٣١هـ) نصبت عشرة أعمدة خشبية وعلقت ما بين الأعمدة ثمانية مصابيح كبيرة، ومنذ ذلك التاريخ أضيئت الجهة الداخلية للمطاف. وفى (٧٢٠هـ) قد زيدت تلك الأعمدة إلى (٣٢) عمودا وبلغت القناديل التى تعلق بينها إلى (١١٦) قنديلا، وبعد تسع وعشرين سنة قد بدلت جميع هذه الأعمدة بالأعمدة الحجرية، وإن كانت ريح شديدة هبت فى سنة (٧٥٠هـ) وأسقطت جميع الأعمدة التى حول المطاف وحطمتها قطعا إلا أنها جددت وبعد مرور وقت قصير قد بدلت بأعمدة من نحاس أصفر، وحتى تحفظ تلك الأعمدة من مياه الأمطار التى قد تظهر فيما بعد مد بين الأعمدة أربطة حديدية سميكة لتعلق عليها القناديل أيضا. وفى سنة (١٢٧٠هـ) أوصلها السلطان الغازى عبد المجيد خان بن السلطان الغازى محمود خان إلى (٣٥)[١] عمودا وعدد القناديل (٢١٠) وعلق فوق حدائد القباب من أولها لآخرها قناديل[٢] مثل الأنجم على أن توقد فى خلال موسم الحج وليالى رمضان وإحياء الليالى المباركة.

(١) واليوم عمود من تلك الأعمدة من النحاس الأصفر وثلاثة منها من الرخام الأبيض.

(٢) قد جدد سلاسل هذه القناديل برقوق المصرى من ملوك الشراكسة فى سنة ٨٠٧.

وهكذا أضيء داخل حرم المسجد الحرام مثل الجنة، وبعد مرور تسعة عشر عاما أرسلت من قبل والدة السلطان عبد العزيز خان الطاهرة النقية شمعدانات متعددة حتى توقد أمام المقامات الأربعة، وفى الأماكن المناسبة لمساحة الحرم الرملية وذلك فى سنة (١٢٨٩).

بين عمودين من أعمدة المطاف سبعة قناديل وإذا أحصى عدد القناديل كلها تصل قناديل أعمدة المطاف إلى (٢١٠) عمودا وإذا أضيف إليها القناديل التى سنذكرها فى الجدول الآتى يصل عدد القناديل إلى (١٨٢٢) قنديلا:

مواقع وعدد القناديل التى اعتيد إيقادها فى مواسم الحج

عدد القناديل	مكان وجودها	ملاحظـــات
٣٢٤	فى المطاف السعيد	القناديل الـ ٨٦ الموقدة فى المقامات الأربعة داخل هذا العدد
٣٧٠	تحت القباب	
٦٠٠	بين الأعمدة	
٥٤	فى الأبواب	
٣٦	فى النجف الشبيهة بالأشجار	يقال لهذه القناديل «المصطفة» وهى معلقة تحت الصف الأول من كمر قباب الحرم الشريف الواقعة فى الساحة الرملية
١٠	أمام المحكمة	
١٦	بين الصفا والمروة	
١٤١٠	المجموع	
١٤١٠	المجموع المنقول	
٤١٢	فى المآذن	
١٨٢٢	المجموع الكلى	

فى كل مئذنة	عدد المآذن
٦٤	٥
٤٦	٢
	٧

هناك جدار نصف دائرى حول حجر إسماعيل ويطلق على هذا الجدار «حطيم».

سبب بناء الحطيم وتاريخ تأسيسه

كانت أطراف المطاف الشريف إلى سنة (٦٤) هجرية ساحة رملية وفى نفس السنة فرش عبد الله بن الزبير. الجهات الأربعة للمطاف بالأحجار الباقية بعد تجديد البيت الحرام بتوسيعه عشرة أذرع. وبعد ثمانى سنوات من هذا العمل هدم الحجاج الظالم الجدار الشامى الذى بناه عبد الله بن الزبير كما ذكر فى مكانه من قبل وأدخله إلى داخل الكعبة قدر ستة أو سبعة أذرع، وحتى يحفظ هذا المكان الذى خلا بالهدم من الطائفين[1] بنى ذلك الجدار الذى سبق ذكره أعلاه، وذلك فى سنة (٨٢هـ).

وقد أدى الجدار الذى بناه الحجاج الظالم مهمته إلى سنة (٩٤١هـ) بترميمه من حين لآخر، إلا أنه ضعف وارتج بشدة عقب السيل الفظيع الذى حدث فى سنة (١٠٣١) وحينئذ هدمه السلطان مراد الرابع إلى أساسه وبناه من جديد. وجدده السلطان عبد المجيد فى خلال سنة (١٢٦٢هـ) على أكمل صورة.

كان سطح داخل الحطيم الكريم مفروشا بحجارة سوداء صغيرة إلى عهد أبى جعفر المنصور. وفى سنة ١٣٩هـ حينما حج أبو جعفر تأثر حينما شاهد حجارة جدران الحطيم، وكذلك أرضيته فى الداخل والخارج غير منظمة وفى حالة سيئة، استدعى زياد بن عبد الحارث والى مكة وقال له: إن هذا الجدار قد بُنِىَ بحجارة عادية وإننى أريد أن يفرش هذا الموقع المبارك فى هذه الليلة بحجارة رخامية لامعة منتظمة وابدءوا ما أريد لأننى سأتى غدا صباحا لمعاينته.

وأحضر زياد بن عبد الله عددا كبيرا من العمال والحَجَّارين، وتحت ضوء المشاعل والقناديل قد جدد الجدار ثم الأرضية حاملا العمال على بذل الجهود المضنية حتى الصباح، وانتزع الحجارة السوداء التى أراد أبو جعفر المنصور تغييرها، وفرش الأرضية بقطع الرخام المجلوة، وفى سنة (١٤١هـ) وبعد عشرين سنة من تجديد أبى جعفر أمر المهدى العباسى فانتزعت الحجارة التى فى داخل

(١) لما كان هذا المكان من داخل كعبة الله فالمرور عند الطواف من خلال هذا المكان يفسد الطواف.

الحطيم وخارجه واحدة واحدة وفرشت الأرضية بقطع الرخام اللامعة[1] وذلك فى سنة (١٦٢هـ).

دامت الإصلاحات التى أجراها المهدى العباسى فى المطاف الشريف (٤٧٢) سنة، وفى عام (٥٥١هـ) بعد أن غير الحجر الأخضر الذى يقال حجر إسماعيل من قبل المستنجد بالله بن المقتفى بالله احتاج المطاف الشريف إلى ترميم عظيم، غير المستنصر بالله الحجارة التى جددت فى عهد المهدى تغييرا كاملا، ثم كتب ما تم إصلاحه فى عهده فى الحرم الشريف على لوحة رخامية زرقاء، ثم ألصقها على جدران بيت الله الحرام، وكان ذلك عام (٦٣٤هـ).

وإن كان الملك جاقمق غير ما فرشه المستنصر بالله بعد مائة وتسعين سنة، وفى سنة (٨٤٣هـ) إلا أن أكثر رخام المطاف الشريف احتاجت إلى التسوية والإصلاح بعد سبع وثلاثين سنة، وعلى ذلك جددها السلطان قايتباى المصرى فى سنة (٨٨١هـ) وبعده بست وثمانين سنة غير السلطان الغورى المصرى ما فرش فى عهد قايتباى فى سنة (٩١٧هـ). وقد أمر السلطان سليمان بانتزاع ما تم إصلاحه فى عهد السلطان الغورى أو ما تم فرشه قبل ذلك. وفرش المطاف الشريف على أحسن وجه فتبدلت أرضية المطاف السعيد الرخامية وانتظمت حالتها فى سنة (٩٥٩هـ). وبعده بأربع وثمانين سنة غير السلطان مراد خان الرابع قطع رخام المطاف الشريف ورخام الأماكن الأخرى من الحرم الشريف سنة (١٠٤٣هـ) وقطع الرخام التى مازالت مفروشة إلى الآن هى الحجارة التى فرشت فى عصر مراد الرابع.

وقد أصبحت هذه الحجارة بمرور الزمن فى حالة غير منتظمة، وتحركت من أماكنها حتى اتسعت الشقوق بين قطع الحجارة قدر إصبع، فلم تَنْجُ أقدام الحجاج من الأذى حين الطواف وفى سنة (١٢٩٦هـ) أصلح مدير الحرم الشريف السابق أحمد أفندى بأن صب قصديرا بين الشقوق التى فى قطع رخام المطاف والرخام الذى فى داخل الحطيم.

(١) لا يعرف الوقت الذى عين فيه حجر إسماعيل بالحجر الأخضر، لابد أن زياد بن الحارث عين ذلك فى هذا التعمير.

واختلف العلماء فى تحديد مكان الحطيم بالنسبة للمسجد الحرام، وبناء على بعض الأقوال أن الحطيم فى داخل الجدار الذى سبق تعريفه، وباتصال جدار البيت الأعظم الشمالى أى لحجر إسماعيل، ويطلق على المكان الذى يقع بين ركن الحجر الأسود وبئر زمزم ومقام إبراهيم، وعند البعض يطلق على الفراغ الذى بين باب بيت الله ومقام إبراهيم، وفى قول يطلق على الميدان الذى يمتد فى ركن الحجر الأسود إلى حدود مقام إبراهيم، وبما أن القول الأخير يبدو أقوى من الأقوال الأخرى فالناس يجتمعون فى هذا الميدان للتضرع والدعاء والمناجاة، وكان أهل الجاهلية يجتمعون فى هذا الميدان حيث يتعاهدون أو يتحالفون.

والحطيم فى زماننا ذلك الجدار الميمون المبارك، وارتفاع جدار الحطيم (٣ قدم و ٤ بوصة) وله مدخلان وعرض كل مدخل (١٠) قدم، والفاصل بين الاثنين (٢٩) قدما، والفاصل بين جدار الكعبة التى تحت الكسوة وجدار الحطيم (٢٢ قدم ٦ بوصة)، والمحيط الداخلى لجدار الحطيم المذكور (٣٥ قدم، ٥بوصة)، والمحيط الخارجى (٤٤ قدم، ٤ بوصة) وتبلغ مساحة الأطراف الأربعة لأبنية الكعبة مع إضافة مساحة حجر إسماعيل (١٤٧ قدم ٣ بوصة) كاملة.

والمقامات الأربعة التى يؤدى فيها أئمة المذاهب الأربعة صلواتهم تقع فى الأطراف الأربعة للمطاف الشريف الذى ذكرناه، فالمقام الحنفى فى الجهة الشمالية لكعبة الله، ومقابل ميزاب الرحمة المقام الشافعى فى الجهة الشرقية وخلف المقام الإبراهيمى الذى يواجه الكعبة، والمقام المالكى فى ظهر كعبة الله، والمقام الحنبلى فى الجهة الجنوبية فى مكان يواجه الحجر الأسود، وكل المقامات متصلة بالحدود الخارجية للمطاف الشريف، وقد أدى إمام كل مذهب الصلاة مع المصلين دون ترتيب منذ سنة (٦٣٣هـ) إلى سنة (٧٩٠هـ)، ولكن بعد سنة (٧٩٠هـ) أخذ إمام المذهب الشافعى يصلى بصلاة الفجر أولا، وفى الآخر يصلى إمام المذهب الحنفى، وفى صلوات الأوقات الأخرى يصلى إمام المذهب الحنفى وبعده إمام المذهب الشافعى وبعده إمام المذهب الحنبلى، وفى الآخر يصلى إمام المذهب المالكى.

قد استصوب أداء أئمة المسجد الحرام على الوجه المذكور فى خلال سنة (٧٩٠هـ) ومع هذا عند اتخاذ هذا النظام للصلاة أخذ أئمة المذاهب الأربعة أداء صلاة المغرب معًا، وكان الناس يقتدون بالأئمة الأربعة فى جهات الحرم الشريف الأربع، فأخذت الأصوات تختلط مع بعضها مما قد يؤدى إلى فساد الصلاة.

وقال بعض من خيار العلماء إذا ما ترك نظام أداء صلاة المغرب مؤقتا بالأئمة الأربعة فى وقت واحد أحسن، وحاول بهذا أن يقضى على النظام الغير المعقول، لذا وضع الملك الناصر فرج نظام أداء صلوات المغرب بإمام واحد فقط، وبعدما استمر هذا النظام ما يقرب من إحدى عشرة سنة اختل، ولاسيما فى سنة (٨١٦هـ) أخذ أئمة المذاهب الأربعة يؤدون الصلوات فى وقت واحد وفى النهاية وضعوا النظام الحالى، والآن تؤدى صلاة التراويح فى أماكن مختلفة قد تصل إلى أربعين أو خمسين موقعا مع أئمة مختلفة يؤمون جماعات مختلفة، وكان هذا النظام مما يؤذى شعور الناس، إلا أنه قد اتخذ حكم العادة ومن الصعب حمل الناس على تركها.

والجماعات التى تصلى التراويح يسلم بعضهم بعد ركعتين، وبعضهم بعد أربع ركعات، ويطوفون بالبيت بعد السلام، ثم يبادرون لأداء صلاتهم وبعضهم يصلون التراويح بدون طواف وتكاد الصلاة أن تفسد أحيانا باختلاط الأصوات بعضها مع بعض، إلا أن وجود فوانيس مختلفة الألوان أمام الأئمة يضيف للحرم الشريف رونقا وجمالا .

وبناء على الفهرس الذى أخذ من خزينة مديرية الحرم الشريف أردنا أن ندرج صورة منه فيما يأتى فللمقام الحنفى (٧٥) وللمقام الشافعى (٢٥) وللمقام المالكى (١٥) وللمقام الحنبلى خمسة أنفار من الخطباء والأئمة، وخدمة المسجد الحرام يبلغ عددهم ١٧٢ نفرا غير الأئمة والخطباء.

الفهرس الذى يبين الأئمة والخطباء والخدم الآخرين، عددهم وأنواعهم، بالحرم المكى.

عدد الأنفار	المقام الحنفى	عدد الأنفار	المقام الشافعى
٢٦	أئمة وخطباء موظف[١]	٦	خطيب وأئمة موظف[٢]
٧	ملازمو أئمة	١٢	ملازمو أئمة
٤٣	المجموع	١٨	المجموع
٣٢	ملازمو أئمة غير موظف	٧	ملازمو أئمة غير موظف
٧٥	المجموع الكلى	٢٥	المجموع الكلى

عدد الأنفار	المقام المالكى	عدد الأنفار	المقام الحنبلى
٧	خطيب وأئمة موظف[٣]	٢	خطيب وأئمة موظف[٤]
٨	ملازمو أئمة غير موظف	٣	ملازمو أئمة غير موظف
١٥	المجموع	٥	المجموع

(١) الأئمة الموظفون والخطباء وملازمو الأئمة أربع طوائف لأفراد الطائفة الأولى لكل واحد ٢٠٠ قرش، ولأفراد الطائفة الثانية لكل واحد منهم ١٠٠ قرش، والصنف الثالث لكل واحد منهم ٤٠ قرشا أجر وظيفة، بينما الصنف الملازمون يخدمون دون أن يوظفوا.

(٢) هؤلاء أربعة أصناف أجر الصنف الأول ٢٠٠ قرش، والثانى ١٠٠ قرش، والثالث ٤٠ قرشا، والملازمون ليسوا موظفين.

(٣) أئمة وخطباء المالكية ثلاثة أصناف الصنف الأول أجره ٢٠٠ قرش، والثالث ٤٠ قرشا، ويخدم الصنف الثانى دون أجر بالملازمة.

(٤) لأئمة وخطباء الحنابلة نفس الراتب الشهرى.

خدمة المسجد الحرام ومدرسوه

عدد الأنفار	نوع الوظيفة	عدد المدرسين	نوع الوظيفة
١٥	١٥ المؤذنون(١)	٦٠	أن هؤلاء موظفون بالبراءة العالية
٧	٧ المكبرون	٦٠	وهؤلاء موظفون بعلم وخبر المدرسين
٧	٧ المرحمون		
٨	٨ الوقادون		
٣٧	٣٧ المجموع		هؤلاء خاصون بالحرم الشريف
١٢	١٢ الفراشون		
١٠	١٠ المشيدان(٢)		
٢٠	٢٠ الكناسون		
٢٦	٢٦ البوابون		
١٢	١٢ الجيادون		
١١٧	١١٧ المجموع		

ويبلغ عدد الأئمة الكرام والخطباء العظام (١٢٠) نفرا ووظف (٧٠) منهم بالأمر السلطانى، منهم موظفون بعلم مديرية الحرم الشريف.

وقد خص المقام الحنفى بثلاثة وأربعين إماما وخطيبا المعينين بالأمر السلطانى ويعمل بالمقام الشافعى ثمانية عشر منهم، والمقام المالكى بسبعة والمقام الحنبلى

(١) يدخل ضمن هؤلاء إمام مسجد على ومؤذنو جبل الكعبة ومبلغو المقامات الحنفى والشافعى، وحارس سبيل الغورى.

(٢) لم يستخدم إلى عهد معاوية المخصيون لخدمة كعبة الله، ولكن معاوية عين عدداً من المخصيين لخدمة الكعبة حتى يتميزوا ويستمروا فى خدمة الكعبة وزاد الذين أتوا بعده عدد المخصيين إلى خمسة وخمسين.

(٣) المدرسون الموظفون ببراءات عالية خمسة أصناف الصنف الأول خمسة عشر شخصا مفتيو المذاهب الأربعة ضمن هؤلاء وأجر كل واحد منهم ٥٠٠ قرش، وعدد الصنف الثانى ستة وأجور وظائفهم السنوية لكل واحد منهم ٤٠٠ قرش، وعدد أشخاص الصنف الثالث ٥٠ نفراً وأجور وظائف كل واحد منهم ٣٠٠ قرش، وعدد الصنف الرابع أربعة وأجر كل واحد منهم ٢٠٠ قرش والذين يدخلون فى الصنف الخامس ثمانية أنفار ولكل واحد منهم أجر سنوى قدره ١٠٠ قرش.

obeikandl.com

باثنين من السبعين المكلفين بالأمر السلطانى وإن كان الذين يتمتعون بالأمر العالى ينقسمون إلى قسمين الأصالة والملازمة إلا أنهم كلهم موظفون. إن الأشخاص الذين يتمتعون بالأمر العالى ثمانية عشر منهم من خطباء الحنفية، وأربعة منهم من خطباء الشافعية، وأربعة منهم من خطباء المالكية، وواحد منهم خطيب حنبلى، ويتقاضى كل واحد منهم شهريا ٢٠٠ قرش. ولكن الأئمة الذين عينوا بعلم المديرية يعطى شهريا ١٠٠ قرش، والملازمون المعينون بعلم المديرية يتقاضى فى الشهر ٤٠ قرشا.

الاستطراد

يوجد مقام خاص لكل جماعة من جماعات المذاهب الأربعة فى أركان بيت الله الأربعة ليؤدى كل إمام مع جماعته الصلاة فيه، ولا يعرف الوقت الذى أقيمت فيه المبانى فوق هذه المقامات الأربعة، ولكن أغلب الاحتمال أنها أنشئت فى عصر الملك الظاهر بيبرس البندقدارى، لأنه قد عين فى سنة (٦٦٣هـ) فى مكة المكرمة إمامًا لكل مذهب، وأقر بين العلماء على أن يكون لكل إمام مذهب مكان خاص ليصلى به مع جماعاته، فاختيرت أماكن المقامات لأئمة المذاهب الأربعة، ونبهوا بأداء الصلاة كل فى مقامه، وكما أنه يوجد فى المسجد الحرام مقام خاص بإمام كل مذهب يوجد مفتى لكل مذهب، وطبقا لما أفاد به المؤرخون عن تعيين أول هؤلاء المفتين وفى أى تاريخ لزمت الحاجة إليه، يمكننا القول: إن القبائل العربية عندما ذاقت حلاوة الإيمان أرسلت السفراء إلى سيد الخلق سيدنا محمد ﷺ، ترجوه أن يرسل معلما إلى القبيلة التى ينتمون إليها لتعليم الأحكام الشرعية، ولإيضاح غوامض المسائل الدينية لهم، وأسرع علماء الصحابة الذين استقوا العلم من أشرف الخلق ـ عليه الصلاة والسلام ـ وحفظوا عن الرسول ﷺ الأحاديث والآيات القرآنية لتبليغها إلى القبائل، ولما كانت الحجج قاطعة والنصوص واضحة فى أيام الرسول ﷺ، وحياته وحياة صحابته الأجلاء لم تكن هناك حاجة للاجتهاد.

وكان أهل الإيمان فى عصر الرسالة إذا شكوا فى مسألة ما يسألون النبى ﷺ، وكانوا بعد وفاته ـ عليه السلام ـ كانوا يلجأون إلى صحابة النبى ﷺ، طالبين الفتوى منهم مثل عبد الرحمن بن عوف أو عبد الله بن مسعود أو أبى بن كعب الأنصارى أو معاذ بن جبل أو عمار بن ياسر، أو حذيفة بن اليمان أو زيد بن ثابت الأنصارى أو أبى الدرداء أو أبى ذر الغفارى أو أبى موسى الأشعرى أو سلمان الفارسى «رضى الله عنهم» وإذا لم يستطع هؤلاء حل مشاكلهم يلجأون إلى الخليفة فى ذلك الزمان مستفتين.

إخطار:

اشتهر بالإفتاء بعد الخلفاء الراشدين سيد العبادلة عبد الله بن عباس[٢] كما أن عبد الله بن عمر أفتى بعد وفاة النبى ﷺ، ستين عاما. انتهى.

واستمرت هذه الحالة إلى يوم استشهاد عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ وبدأت الآراء تختلف بعد ذلك وكلما ابتعد عصر السعادة وتناقص عدد الأصحاب والتابعين أخذت الآراء تختلف وتتشتت، ولاسيما فى وجود كثرة ممن يميلون إلى اتباع آراء الطغاة أدت إلى تغير أطوار الأمة وأوضاعها، فكثرت فى المسائل الشرعية الفرعية الآراء، واستخرج أئمة الدين الأحكام الشرعية التى تخص الطاعات والعبادات والعقوبات والمعاملات من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، حتى تفهم النصوص الظاهرية وسنة رسول الله بيسر وبشكل واضح لا ينسى، واتخذ كل واحد منهم مسلكًا ومذهبا مختلفا عن الآخر. وفصلوا بين المعنى العرفى والمعنى اللغوى للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، حتى يتقى الخطأ فى المسائل الشرعية، ووضعوا أصولا وقواعد للوصول إلى مرتبة الاجتهاد الصعبة، ودونوا علما خاصا يطلق عليه علم أصول الفقه، وسموا ما جمعوا ورتبوه من المسائل التى استنبطوها وفقا للقواعد السابقة علم الفقه.

---

(١) إن الأشخاص الذين ذكرت أسماؤهم كانوا مفوضين بالفتوى حتى فى عصر النبوة، إلا أنهم كانوا يرسلون من يلجأ إليهم للفتوى إلى النبى ﷺ، تأدبا.

(٢) العبادلة طائفة من الصحابة الذين كانو يفتون ويقومون بمهمة القضاء وهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عن الجميع.

علم أصول الفقه:

هو استخراج فروع المسائل الفقهية من الكتاب والسنة والإجماع وفقا لقواعد مخصوصة واستنباطها.

وعلم الفقه:

هو أن يعرف كل مسلم ما له وما عليه من الأمور.

والذين لهم دراية بالمسائل المستخرجة والمستنبطة يطلق عليهم الفقهاء. والفقهاء الأجلاء فرقتان: عراقية وحجازية، وقدوة الفرقة العراقية هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى، ورئيسا الفرقة الحجازية هما الإمام مالك بن أنس المدنى والإمام محمد بن إدريس المطلبى الشافعى.

واتخذ الإمام أحمد بن حنبل مسلكا جديدا بعد الإمام الشافعى وأصبح رابع أئمة المذاهب الأربعة، واجتهد الإمام الأعظم متخذا العقل قبل النقل قاعدة، واتخذ الإمام مالك النقل قبل العقل قاعدة وأساسا، واتخذ الإمام الشافعى العقل مساويا للنقل، واتخذ الإمام أحمد بن حنبل النصوص أساسا لكل شىء، وهكذا ارتقى إلى المرتبة الرابعة بين الأئمة إلا أن من يقلد مذهبه قليلون.

وقد ظهر بعد الإمام مالك المذهب الظاهرى، وقد اعترض من يقلدون هذا المذهب على التباس المسائل بطريق القياس، وتركوا العمل بالقياس وأبطلوه، وأحدث بعدهم مذهب أهل البيت وبما أنه كان متصفا بالغلو والإفراط ولمخالفته الجمهور اندثر بموت إمامه وإنكار مقلدى المذاهب الصحيحة له، وأراد بعض الناس فيما بعد إحياء مذهب أهل البيت ولم يكن له شأن إلا مخالفته للمذاهب الأربعة، وهكذا ساد المذهب الحنفى فى العراق والمالكى والشافعى فى البلاد الحجازية.

انتشر المذهب الحنفى فى إقليم العراق وممالك الهند والصين وما وراء النهر وبلاد الفرس، والمذهب المالكى فى الأندلس والممالك المغربية، وساد الشافعى

فى بلاد العراق وخراسان وما وراء النهر فى أول ظهوره، وانتشر المذهب الحنبلى أولا فى الشام والعراق وبغداد والبلاد المجاورة لها.

ويعدد حضرة عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه الميزان الكبرى مذاهب أخرى غير المذاهب الأربعة مثل: مذهب عائشة، مذهب عبد الله بن مسعود، مذهب عبد الله بن عمر، ومذهب عطاء بن أبى رباح، ومذهب الإمام الليث، ومذهب مجاهد بن جَبْر، ومذهب داود الأصفهانى، ومذهب عمر بن عبد العزيز، ومذهب سفيان الثورى، ومذهب سفيان بن عيينة، ومذهب محمد بن جرير، ومذهب الشعبى، ومذهب إسحاق بن راهويه، ومذهب الأعمش: أربعة عشر مذهبا وبهذا يبلغ المذاهب الصحيحة والحقة إلى ثمانية عشر مذهبا، وقد اندثرت هذه المذاهب لقلة أتباعها، أو لا نحصارها فى أصحابها ولم يبق إلا المذاهب الأربعة.

وكان أهالى الحرمين إلى سنة (٣٥٨هـ) يحلون شبهاتهم فى المسائل الفقهية باللجوء إلى إلى أى واحد من أئمة المذاهب الأربعة الذى اكتسب ثقتهم.

ووقعت البلاد المصرية تحت إدارة الملوك الفاطميين وفى خلال العهد الفاطمى الذى دام مائتين وبضع سنين أسقط العمل باجتهاد الأئمة الأربعة، وصنفت كتب وفقا لأحكام فقه أهل البيت.

ومنع فى هذه الفترة حب أصحاب المذاهب الأربعة، وكان كل من يتبع المذاهب الأربعة مبغوضا منفورا منه لدى الحكومة.

من الحوادث التى تلوث تلك الفترة وصحائف تاريخها هذه الحادثة الشنيعة، وقد علم أن أحدا من أهل السنة يحتفظ فى مكتبة بكتاب الموطأ، فأحضر الكتاب وصاحبه ومزق الكتاب المذكور ثم قيل لصاحبه «لماذا تحتفظ بهذا الكتاب وتحترمه؟» ثم شتم وعذب وضرب ضربا مبرحا.

كان القاضى عبد الوهاب من فقهاء أهل السنة ساكنا ببغداد وفى أواخر المائة الرابعة أتى إلى مصر وسعى لنشر المذهب المالكى، واستطاع أن يدخل كثيرا من

أهل السنة إلى الدائرة المنجية، إلا أنه كان يحكم فى مصر والبلاد الحجازية بأحكام مذهب أهل البيت إلى سنة (٥٦٨هـ) وقد انقرضت الدولة الفاطمية فى تلك السنة، فعاد علماء الشافعية إلى مصر، وهكذا سقط العمل بكتب فقه أهل البيت وانتشر المذهب الشافعى فيها، وأخذ الأهالى والملوك وكبار الموظفين العمل متبعين المذهب الشافعى.

وصلاح الدين الأيوبى واحد من الملوك المصريين الذين قلدوا المذهب الشافعى: وقد أسس هذا الشخص قلعة جبل المقطم، وفى نفس السنة أنشأ المدرسة التى تنسب إلى قبر الإمام الشافعى، وهكذا أنقذ الناس من البحث عن عالم يعين بالقاهرة مفتيا شافعيا، واستصوب بعد ذلك بين العلماء وجود مفتيين على المذهب الشافعى فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ونفذ الأمر.

وقد جعل المفتى الشافعى الذى عينه صلاح الدين الأيوبى فى القاهرة نوابا له عن باقى مذاهب أهل السنة حتى يفتوا حسب مذاهبهم، وهكذا أخذ يزيد أفراد كل مذهب تدريجيا، وظهرت المذاهب الأربعة كاملة اضطر أهالى الحرمين ومصر القاهرة وسكنة بلاد الشام فى عهد صلاح الدين الأيوبى إلى سنة (٦٦٣هـ) أن يلجأوا لمفتى الشافعية، وبما أنه لا يمكن للإمام الشافعى أن يفتى وفقًا لأحكام المذاهب الأخرى عين الملك الظاهر بيبرس قاضيا[1] خاصا بكل مذهب فى خلال تلك السنة، وبعد ذلك أصبح أتباع المذاهب الأربعة يذهب للإمام الخاص به لحل ما يريدونه من المسائل الدينية، ولكن فى الممالك الأخرى ظل المفتى الشافعى كما كان فى السابق.

إضافة

وإن كان ثابتا بالتحقيق أن عمر بن الخطاب هو الذى كان يقوم بأمور القضاء فى عهد خلافة أبى بكر الصديق، وكان هناك يزيد ابن أخت نمر وشريح فى عهد عمر بن الخطاب، وكعب بن سوار وفى عهد خلافة سيدنا على شريح بن الحارث

(١) وكان القضاة فى ذلك العهد يعينون على أن يؤدوا مهمة القضاء والإفتاء.

يقومون بأمور القضاء، إلا أن أول القضاة المعينين فى المدينة المنورة من خارجها هو عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وقد أرسل إليها فى سنة (٤٢هـ) من قبل معاوية.

وفى عهد السلاطين العثمانيين أول من تولى منصب القضاء شخص يسمى طورسون أفندى وعين من قبل عثمان الغازى، أما أول القضاة المعينين لاستانبول فكان القاضى مجد الدين أفندى «محاضرة الأوائل».

عين الملك الظاهر مفتيا لكل مذهب من المذاهب الأربعة، وبعد مضى خمسة وأربعين عاما على هذا التاريخ أرسل الناصر فرج من ملوك مصر إلى مكة المعظمة مفتيا للحنفية وآخر للمالكية وذلك عام ٧٥٨هـ، وبعد فترة وجيزة أرسل مفتيا للحنابلة. ومنذ ذلك الوقت (أى منذ ٧٠٨هـ) وبعد فترة وجيزة عين مفتيا خاصًا لكل مذهب فى مكة المكرمة والمدينة المنورة على حد سواء.

كان يتم تعيين واحد للإفتاء لكل مذهب حتى العام المبارك الذى انتقلت فيه أزمة إدارة البقاع الحجازية المقدسة فى بعض الأحايين، وفى الأحايين الأخرى كان يعين واحدا أو اثنين فقط لتسيير الإدارة فى الحرمين، ولكن بعد عام (٩٢٣هـ)لم ينقص عدد المفتين الأربعة فى أى وقت.

وفى وقتنا الحاضر ثمة مفتى حنبلى على الرغم من قلة الحنابلة فى مكة المكرمة بحيث نستطيع القول بأنه لا وجود لحنبلى واحد فيها.

مطالعة

قبل عهد سلاطين آل عثمان وفى بعض الأحايين كان يوجد مفتى أو اثنين فى الحرمين، وسبب ذلك هو إظهار سلاطين السلف من المسلمين استعدادهم لنجدة كل مسئول من أهل الحرمين، لأن ملوك المسلمين كانوا يعتنون كل العناية ببسط نفوذهم على الحرمين، وكانوا يعتقدون أن أعظم الأسباب التى تخدم هذا الغرض

هو نجدة مسئول الأهالى. والرابطة الإسلامية أينما وجدت فإن أساسها الارتباط بالحرمين وكان الحكام يدركون الفوائد السياسية الكبيرة للاحتفاظ بهاتين البلدتين المسعودتين.

وإن كان هذا الاعتقاد موضع احترام وتقدير فإنه من الممكن حدوث تجاوز للحدود الشرعية لنجدة كل مسئول للأهالى، ولا توجد شبهة فى خطأ الاعتقاد المذكور، ألم يكن باطلاً استيلاء جيوش الجهالة على الحرمين فى العهد السابق، وحصول أصحاب المذاهب الباطلة على الحماية فى البلاد الحجازية، وانقياد البدو لصناديد القبائل فى الباطن، وللدولة فى الظاهر، والعمل بالأحكام والقوانين التى سنها البدو[1] وليس التى يسنها الولاة والقضاة المعينون من قبل الدولة، وإذا ما نظر بإمعان إلى المعاملات الكلية والجزئية التى جرى العمل بها من بداية ظهور الملوك الإسلاميين وحتى اندثارهم يتبين أن انقراضهم وسقوطهم كان أولا بالانحراف عن جادة الشرع، والعمل بالبدع أو لترك الأعمال والتصرفات المشروعة.

أو ليس بقاء سلاطين آل عثمان المنصوص على أنهم أعدل الملوك فى الكتب الإسلامية المعتبرة كان بسبب اتخاذهم الأحكام الشرعية أساسا فى الأعمال والحركات، وعلى الرغم من أنه لم تلتزم الدقة فى تطبيق أحكام الشريعة بتمامها والتى هى أساس ملكهم الذى قام عليه مما أدى إلى وقوع بعض الخلل والاضطراب، وبمرور مدة قصيرة جدا على ذلك جددوا تمسكهم بالصورة الموافقة لأحكام الشريعة وأساس ملكهم ووصلوا إلى مطالبهم بعد وقت قصير كما هو مسطور فى الكتب المذكورة وسرى حكمهم إلى أكثر أرجاء الأرض وشملها.

وعندما سيطر السلاطين العثمانيون على البلاد الحجازية المباركة قضوا على

(١) نظم عرفت قبل عدة مئات من السنين من قبل شيوخ القبائل، وقد أدرجت النطاقات العربانية والقوانين التى تراعى الآن بين العربان فى جزء مرآة جزيرة العرب.

جميع العقائد والأراء الباطلة والأفكار الخاطئة بحسن تدبيرهم، وهكذا استطاعوا أن يدخلوا سكنة الحجاز كلهم فى دائرة المذهب الحق مذهب أهل السنة، والجماعة الفرقة الناجية وأذنوا لمفتىّ المذاهب الثلاثة الحكم فى مسائل الطلاق والنكاح وغيرهما من المسائل، ولمفتى المذهب الحنفى الحكم فى المسائل الأخرى المهمة وبناء على أصح أقوال الفقهاء، وحكموا وفقا للأحكام الشرعية فى البلاد العربية وخاصة فى الحرمين الشريفين، سواء أكان فى العقيدة والآراء أو فى جميع المعاملات والعقوبات الفقهية متبعين فى ذلك رأى السلطان ورؤيته، وبهذا فعلاً أحيوا الشريعة الأحمدية وحكموا بالأحكام الإلهية.

وكان المفتى الشافعى تاج الدين بن بنت الأعز سببا فى تعيين الملك الظاهر مفتيا لجميع المذاهب فى مصر، وكان الملك الظاهر يلجأ إلى تاج الدين ابن بنت الأعز فى جميع المسائل لكونه مفتى الأنام[1]، وبما أن الشيخ تاج الدين كان يريد أن يجيب على كل مسألة إجابة صحيحة اتخذ من كل المذاهب نائبا له، وكان يفتى بعد ما يتفق معهم على الإجابة.

ولسبب ما امتنع مرة عن الإجابة للمسألة التى عرضها عليه الملك الظاهر وقال له «إن هذه المسألة يقتضى سؤالها من النائب الحنفى، وكأنه بهذا القول أراد أن يشير إلى أن الوقت قد حان لتعيين مفتى لكل مذهب من المذاهب، وبادر الملك الظاهر بتعيين مفتى لكل مذهب حتى لا يحدث خلل فى رابطة الموحدين، وأطلق عليه لقب قاضى القضاة، وأمرهم بأن يرسلوا من قبلهم نُوَّابًا لهم إلى البلاد التى فى حاجة إلى ذلك وحينما عين المفتيين الأربعة سر صاحب القصيدة المشهورة البردة ـ وكان حيا يرزق ـ من هذا العمل وأنشد الأبيات الآتية:

غدا جامع بن العاص كهف أئمة

فلله كهف الأئمة جامع

(١) معنى مفتى الأنام هو «قاضى القضاة» وأول القضاة فى مصر هو أبو الحسن على ، بن نعمان وأول من عين قاضى القضاة فى الدولة الإسلامية هو الإمام «أبو يوسف». صاحب أبى حنيفة.

لقـد سـرنا أن القضـاة ثلاثـة
وأنـك تـاج الديـن للقـوم رابـع
بهم بنـية إسـلام صحـت وكيـف
ولا وهـم أركانهـا والطبائـع
فهـم رخـص أبـدوا لنـا وعزائـم
هديـنا بهـا فهـى النجـوم الطوالـع
فلا تلتبس إن وسـع الله فـى الهـدى
مذاهبنـا بالعـلم والله واسـع
تفرقـت الآراء والديـن واحـد
وكـل إلـى رأى مـن الحـق راجـع
فهذا اختـلاف جـد للخـلق راجـع
كما اختلفـت فى الراحتـين الأصابـع

وتتضمن قصيدة الإمام البوصيرى معنى الحديث الشريف «اتفاق أمتى حجة قاطعة واختلافهم رحمة واسعة».

فضائل الحطيم

يروون تأييدًا بالأحاديث الشريفة أن فى الحطيم بين بئر زمزم والمقام المحترم الذى يمتد إلى الحجر الأسود قد دفن تسعة وتسعون نبيا بعد أن حجوا توفوا وصعدت أرواحهم إلى الجنات العالية.

إن الأنبياء الذين هلك أتباعهم قد أقاموا إلى آخر عمرهم فى مكة المكرمة، وقضوا حياتهم فى التعبد لله ـ سبحانه وتعالى ـ ثم توفوا فى تلك المدينة، وقد نقل ذلك محمد بن السائب نقلا عن النبى ﷺ.

ولما كان نوح وهود وصالح وشعيب من الأنبياء الذين توفوا فى هذه

المدينة، فقد دفنوا فى الجهات التى تقابل فيها الكعبة المعظمة مقام إبراهيم وباب الصفا.

الأثر الثانى: المستجار:

يقع الموقع المبارك الذى يطلق عليه المستجار بين الباب المسدود الكائن فى جدار كعبة الله الغربى وبين الركن اليمانى[1] وفى مواجهة الملتزم، وعرضه ستة أقدام. الباب المسدود هو الباب الذى فتحه عبد الله بن الزبير فى عرض (٤ قدم و١١ بوصة). وبعد أن قتل الحجاج السفاك عبد الله بن الزبير سد ذلك الباب.

الأثر الثالث: الملتزم:

يطلق على ما بين باب كعبة الله والحجر الأسود الملتزم، إن هذا المقام موقع طاهر مبارك فى عرض ستة أقدام وأربعة خطوط، فالذين يكملون الأشواط السبعة للطواف يأتون فى هذا المكان للتضرع، وهو فى الجهة التى يقع فيها باب كعبة الله، ويروى أن النبى ﷺ تفضل قائلا: «إن كل من يصلى أربع ركعات مقابل كعبة الله كأنه قد أدى صلوات جميع العباد ويستغفر له سبعون ألفا من الملائكة». (حديث شريف).

كان من اعتقاد العرب فى الجاهلية أن كل من يتجادل فى هذا المكان أو يقسم يمينا باطلا أو من يدعى عليه لابد وأن ينالوا عقابهم، وهذا هو وجه تسميته بالملتزم.

مقطوعة

انطلق إلى باب الحجر
والتزم بلثم هذا المقام
واحتضنه بشوق غامر وإذا صعدت
روحك فلتكن حياتك بالحبيب

(١) كان الركن اليمانى قد تشقق إثر زلزال عام ٥١٥هـ، ولكنه رمم على أحسن وجه بلا تأخير وأحكم صنعه.

أضـــرم مـــن قلبك نار الفراشـــــة

وألـــق نفســـك فـــى تلك النـــــار

أليســـت لك عـــــادة الفراشـــة

تحـــوم أولا حـــــول النـــار ثم تحترق

ضـــع يـدك بخشوع على هذا الستار

واتكـــئ عـــلى كرم ذى المـــنن

امسح بوجهك وصـدرك هذا الباب

وزد مـــن نـــور عينيـــك وقلـــبك

علـــق يـــدك فـــى أستـــــــاره

وازرف الدمـــــــع لرؤيتـــــــه

ولتأت بـــذرة الشـــوق من الطريق

أصبحـــت الوصـــل بروج الفـــراق

الأثر الرابع: تحت الميزاب:

الاسم الشهير لتحت الميزاب هو «حجر إسماعيل» وإنه حجر أخضر يقع فى الجهة التى بها المقام الحنفى مواجها لكعبة الله. وتحت الميزاب الذهبى وهو نصف دائرة، يقال إن أكثر مواضعه ـ أو على قول ـ بعض مواضعه كان داخل الكعبة وحينما جدد القرشيون بناء الكعبة تركوه خارجها.

رواية

يقال إن كل من يجلس تحت الميزاب ويدعو الله بقلب طاهر ونية خالصة يستجاب دعاؤه، ويتخلص من ذنوبه كأنه قد ولد من جديد، وكل من يصلى ركعتين فى هذا المكان المبارك ويدعو عند سجوده لنيل مطلب ما يتحقق أمله.

يجب ألا يشك فى هذه الرواية، لأن الجهة الشمالية من جدران الكعبة ومن

ركنيها نحو الحطيم قدر ستة أذرع قد ثبت بحديث صحيح أنها من داخل الكعبة، إنه المكان الذى أخبر عنه بالحديث الشريف ـ يعنى المكان الذى يلزم الدعاء فيه بعد الصلاة ـ وهو المحل الذى سبق تعريفه وقد أشير إليه بحجر مستدير أخضر اللون إن هذا المكان هو «حجر إسماعيل» المبارك.

وبناء على حكم حديث شريف آخر أن كل من يصلى ركعتين فى جهة الركن الشامى لحجر إسماعيل فكأنه قام سبعين ألف ليلة بالصلاة، وطاف بالبيت الأعظم طوافا مبرورًا مقبولا أربعين مرة، وهذا هو قدر أجره وثوابه.

الأثر الخامس: حفرة المعجن:

من الأماكن التى يستجاب فيها الدعاء المعجن الشريف، إن الموقع الذى يطلق عليه المعجن حفرة متصلة بجدار كعبة الله الشرقى، وطولها سبعة أقدام وعرضها خمسة أقدام وست بوصات، وعمقها أكثر من قدم قد خلط إبراهيم عليه السلام طين بيت الله فى هذه الحفرة، إن هذه الحفرة اللطيفة هى المكان الذى صلى فيه جبريل ـ عليه السلام ـ الصلوات المفروضة يومين متتالين مع النبى ﷺ، عندما فرضت الصلوات الخمس.

يروى أن جبريل ـ عليه السلام ـ عندما فرضت الصلوات أم النبى ﷺ فى أوائل أوقاتها وفى اليوم الثانى فى أواخر أوقات الصلوات الخمس.

إن فى الجهة التى تلاصق هذه الحفرة من كعبة الله حجر أحمر، إن هذا الحجر المبارك دواء مؤثر لمرض ضعف البصر والمبتلون بهذا المرض إذا مسوا هذا الحجر ثم مسحوا بأيديهم عيونهم يشفون من هذا المرض.

وقد سرق هذا الحجر سنة (١٢١٣هـ) وقد تعرض سكان بلدة الله لمرض مفرط، ومات منهم كثيرون، وفيما بعد وجدوا الحجر فى متروكات رجل توفى، فوضعوه فى محله مرة أخرى.

وهكذا نحو مما تعرضوا له من المصائب والقحط وهذا الحجر موجود إلى هذا اليوم، وبناء على قول ابن حجر كلما سرق من بيت الله حجر أو أشياء أخرى يتعرض أهل مكة لمرض مهلك ينتشر إلى جميع البلاد الأخرى، وكان قد سرق فى وقت ما حجر من أحجار بيت الله فظهرت أمراض مهلكة فى مكة الله وانتشرت إلى أكثر البلاد، وفى نهاية الأمر خرس لسان السارق ومات ووجد الحجر المسروق فى ميراث ذلك الرجل وأعيد إلى مكانه، ورفعت تلك الداهية الدهياء من فوق العباد.

الأثر السادس: مقام إبراهيم:

يطلق مقام إبراهيم على ذلك الحجر المبارك الذى استخدمه إبراهيم ـ عليه السلام ـ كسقالة عند بناء كعبة الله المعظمة.

وبناء على هذا التعريف فإن هذا الحجر الذى يطلق عليه مقام إبراهيم هو الحجر الذى استخدمه إبراهيم ـ عليه السلام ـ كسقالة عندما كان يبنى جدران كعبة الله وحينما صعد إبراهيم ـ عليه السلام ـ فوق هذا الحجر لبناء جدران الكعبة جعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ ذلك الحجر كالعجين فغاصت أقدام سيدنا إبراهيم الشريفة فى صدر الحجر حتى كعبها، وعندما نزل إبراهيم ـ عليه السلام ـ من فوق الحجر رجع إلى هيئته الأولى جامدا كما كان.

وقد رأى أنس بن مالك هذا الحجر الشريف فى الآثار المباركة التى تركها إبراهيم ـ عليه السلام ـ كما يروى صاحب بدائع الزهور بعد التدقيق.

وكان يقول للذين يسألون: إننى رأيت آثار أقدام خليل الله فوق المقام الشريف، وكانت آثار أصابع قدميه ظاهرة. إلا أن هذه الآثار تكاد تمحى من كثرة ملامسة الناس. إن حجر المقام الشريف الذى يساوى الجواهر لا يشبه الرخام الأبيض ولا الحجارة العادية البيضاء أو السوداء. وفوقه عروق تميل إلى السواد أو الصفار وإن كان لونه قارب لون السكر الخام إلا أنه لم ير فى الدنيا حجر لطيف

فى اللون أو الخلقة أو جدير أن يقال لم يخلق حجر مثله. حجمه الأصلى فى ارتفاع واحد وعشرين إصبعا، والجهات التى تحمل آثار قدميه فى عرض ثمانية عشر إصبعا.

إن وسطه أرفع بالنسبة لطرفيه وأسفله يشبه اللبن، ومسافة محيطه أكثر من أربعة أقدام قليلا، إن أثر قدمى إبراهيم ـ عليه السلام ـ فوق المقام قد غطى بغلاف فضى إلا أنه لا يعرف متى حدث ذلك ومن قام بتغليفه.

إن الحجر المذكور محفوظ الآن فى داخل أبنية أنشئت فى الجهة الشرقية لكعبة الله وأمام باب بيت الله.

وكان فى مكان[1] ملاصق لأبنية كعبة الله يوم فتح مكة، وقد أمر قائد المجاهدين (عليه سلام الله المعين) بنقله إلى مكانه الحالى، وهو يبتعد عن شادروان الكعبة المشرفة ابتداء من الشبكة الحديدية ثمانية وعشرين قدما.

ويبعد عن ركن الحجر الأسود خمسة وثلاثون قدما، ومن حدود جبل الصفا مائتين وخمسة وعشرين قدما.

ويوجد تحت الحجر المبارك صفة مبنية بالحجارة، وفوق الصفة صندوق وطول الشبكة الحديدية التى تحيط بهذا الصندوق من يمين مصلى الشافعية ويساره نحو وجه الكعبة خمسة أذرع وعشرة أصابع، وعرضها ذراع وسبعة أصابع ونصف إصبع، ومازالت الجهة الشرقية لتلك الشبكة المكان الذى يصلى فيه أئمة الشافعية مع جماعتهم وهو فوق عمودين رخاميين وفى طول سبعة أقدام وأربع بوصات.

مسألة

قال جماعة: المقصود بالمقام فى الآية الكريم ﴿ **وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ﴾ (البقرة: ١٢٥) هو المكان الذى ما بين العمودين الرخاميين.

(١) إن هذا الموقع الجهة اللطيفة لباب كعبة الله، حينما أتم إبراهيم ـ عليه السلام ـ مبانى كعبة الله السعيدة تركه فى هذا المكان.

وقال جماعة: إن المقام الشريف حرم المسجد الحرام كله، حتى إن الإمام مالك كاد أن يذهب إلى فرضية أداء صلاة الطواف فى ذلك المكان[1].

بشرى:

ينقل أئمة الدين الكرام فى روايات صحيحة عن النبى ﷺ، أن الذين يصلون خلف مقام إبراهيم ركعتين يغفر الله لهم جميع آثامهم السابقة وينعم عليهم بحسنات قدر مخلوقاته والذين يصلون بعدهم ينقذهم من الفزع الأكبر يوم القيامة، ويأمر جبريل وميكائيل (عليهم السلام) بأن يستمروا فى الاستغفار لهم إلى يوم القيامة.

كان المبنى القديم للمقام الإبراهيمى يتكون من مظلة قائمة على شبكة خشبية وكانت مياه السيل الذى ظهر فى عهد عمر الفاروق ـ رضى الله عنه ـ جرفت هذا المبنى والمقام الشريف إلى الوادى اليمانى، وأسس الفاروق مظلة جديدة متينة حسب الحاجة فى زمنه.

وقد زينه فى سنة (١٦٠هـ) الخليفة المهدى البغدادى العباسى وفى سنة (٢٣٥هـ) المتوكل على الله بن المعتصم وفى سنة (٢٥٦هـ) زين المهتدى بالله بن الواثق المظلة التى أنشأها عمر الفاروق وأنفق عليها كثيراً من النقود الذهبية.

لم يكتف الخليفة المهدى بتزيين المقام الشريف بل أنفق كثيرا من النقود الذهبية لإلصاق الجزء المنكسر من الحجر الذى يطلق عليه مقام إبراهيم، وقال الإمام الأزرقى نقلا عن عبد الله بن الشعبى وهو يشير إلى همة المهدى: «بما أن المقام الشريف كان لينا جدا قد انقطع جزء منه فى أثناء التعمير، ولما أبلغ الأمر إلى المهدى بن المنصور ألصقه بإذابة ألف قطعة ذهبية».

---

(١) وكان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ سببا فى نزول هذه الآية الكريمة واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى لأنه قال لرسول الله الكريم ﷺ «يا رسول الله ألا نتخذ من مقام إبراهيم مصلى؟! «فنزلت هذه الآية الكريمة الجليلة» ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (البقرة: ١٢٥) فاتخذ ذلك المقام مصلى ونزل القرآن بهذا موافقا رغبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

وقد أنفق فى عهد المتوكل بالله ثمانية آلاف، وفى عهد المهتدى ألف تسعمائة وتسعين مثقالاً من ذهب.

مع أن جعفر بن فضيل ومحمد بن حاتم، قد اقتلعا هذه الألواح الذهبية وصنعوا بها عملة ذهبية، أنفقاها للمستلزمات الحربية فى فتنة إسماعيل العلوى.

إن الباب الذى يواجه الكعبة الشريفة لشبكة المظلة المذكورة قد ترك مفتوحا للزوار، ولم يغير أى جهة منها، كان من يرغب فى زيارته يستطيع زيارته ومسح وجهه وعينه بالحجر (المقام الشريف).

وقد ذكر أن الدعاء يستجاب بالقرب من المقام الشريف ولذلك كان أصحاب الحاجات يدعون الله ويناجون عارضين حاجاتهم وينالون أقصى مطالبهم عندما يدعون وباب الشبكة الذى يواجه الكعبة مفتوحا.

وكما أن الداعين بقلوب نقية لا يردون يائسين؛ لذا أخذ بعض المفسدين وذوى النيات السيئة يدعون ضد الأشراف والصناديد ووجهاء القبائل، كما ظهرت مساوئ أخرى، وحينما رأى ذلك شخصٌ اسمه يوسف الذى حكم البلاد الحجازية واليمانية فترة من الزمان هدم تلك المظلة، وأدخل حجر المقام المبارك فى داخل قبة حديدية، ووضع مكان الشبكة الخشبية شبكة حديدية، وفى زماننا قد صنع فوق المقام الشريف صندوق من خشب شجرة الطرفاء، ويحيط بهذا الصندوق قفص حديدى، وذلك القفص تحت قبة حجرية، وتحيط بهذه القبة من جهاتها الأربعة شبكة حديدية، ولذلك الصندوق باب فى الجهة الشرقية، وهناك قطعة قماش مزخرفة بالذهب تحيط بهذا الصندوق، وكلما غيرت كسا الكعبة المفخمة الداخلية غيرت هذه الستارة أيضا.

وقد غير الملك الناصر محمد بن قلاوون المصرى الشبكة التى تحيط بالصندوق فى سنة (٧٢٨هـ) وكتب على إحدى جهاتها اسمه.

وبعد اثنتين وثمانين سنة وفى سنة (٨١٠هـ) قد صنع سقف لطيف لداخل القبة، وكتب فى أحد أماكنه اسم صانعه وتاريخ صنعه.

وقد غطى السلطان جاقمق المصرى القبة المذكورة بالرصاص فى سنة (٨٤٣هـ) ولما احتاجت بعض أماكنها للتعمير بفعل مرور الزمن عمرها السلطان الأشرف الغورى، وزينها بالذهب فى سنة (٩١٥هـ) وبعد مرور ثلاث سنوات وفى سنة (٩١٨هـ) غطى القبة بالرصاص.

وإن كان صندوق المقام الشريف والشبكة الحديدية التى فوقه قد صنعت فى شكل رصين كما ذكر من قبل وعمرت عدة مرات، إلى أن أخذ بعض أجزائها فى البلى وزال طلاؤها وسقطت بعض أخشابها، وصعب حفظ ذلك المقام فأقيمت المبانى بناء على الطلب والاستئذان من السلطان سليمان بن السلطان سليم فى سنة (٩٤٧هـ).

وصنعت فى شكل محكم وهيئة متينة. وشبكة القفص المصنوعة من الحديد غيرت بشبكة نحاسية، وأخذت الأبنية التى صنعها السلطان المذكور يصيبها البلى بالتدريج، وأشرفت على السقوط والخراب، وعرض الأمر على السلطان مراد الرابع طاب ثراه فبادر إلى تجديدها وتزيينها فى سنة (١٠٤٥هـ) وبعد سبعين سنة من ذلك ساءت حالة الصفة التى تحمل الحجر الذى عليه آثار قدم إبراهيم ـ عليه السلام ـ فكتب حامل مفتاح الكعبة المعظمة الشيخ محمد الشيبى تقريرا إلى ولاية مكة، وأبلغت الولاية الأمر متضمنا التقرير السابق إلى الباب العالى. فبادر الباب العالى بتجديد تلك الصفة وجدرانها والصندوق الخشبى للمقام المذكور، والأماكن الأخرى التى تحتاج إلى التجديد وذلك فى سنة (١١٦٥هـ).

وأكد الشيخ محمد الشيبى فى تقريره لزوم تجديد الغطاء الفضى الذى يزين الصندوق الفضى وكسوة الصندوق الذى يحتوى على حجر المقام. وبناء على ما يقتضى عمله فى مكة فلقد أرسل السلطان مصطفى خان الثانى بن المرحوم محمد خان الرابع بالأمر السلطانى الذى تفتقت به قريحته، والذى تجب طاعته إلى إبراهيم أفندى مدير التعمير فى مكة المكرمة، وبناء على هذا الأمر السلطانى عَايَنَ إبراهيم أفندى مع شريف مكة وقاضيها والآخرين ومن يجب وجودهم المقام

المذكور، وبناء على القرار الذى اتخذوه رمم صندوق المقام، وبعث بالغطاء الفضى القديم للمقام، وبعض العينات من التراب الذى وجد حول الحجر المبارك إلى باب السعادة للتبرك، وقد قدمت هذه الأشياء بكل توقير إلى العتبة السلطانية مما أثار فرحة وسرور السلطان، وبعد أن رآها أمر بأن تحفظ هذه الأشياء المباركة فى صورة تليق بها، وهكذا وضعت فى الخزانة السلطانية لحفظها.

إن التراب المبارك الذى أخذ من المقام وأرسل إلى باب السعادة كان من الطين الذى تحجر حول آثار قدم سيدنا إبراهيم عليه السلام، لأنه كان قد صنع جدير من الجص حول آثار قدمى إبراهيم عليه السلام فى ارتفاع شبر، وغلف الجدير بغلاف من الفضة، وذلك لملئه بماء زمزم الذى يعد شربه تبركا بآثار قدمى ذلك النبى الكريم، كما كان يحدث فى أوائل العصور الإسلامية، ومازال يحدث فى ذلك الوقت، وكلما فتح باب الشبكة الحديدية للمقام يصب الزوار والحجاج فى داخل ذلك الجدير ماء زمزم ويشربونه متبركين.

ثم يضعون فيه بعض القروش ثم يأخذونها ويضعونها فى أكياس نقودهم للتبرك بها، وحينما يكون فى داخل ذلك الجدار ماء زمزم وتوضع فيه النقود، ثم تؤخذ بعد فترة وتوضع فى كيس النقود؛ يجلب ذلك البركة واليمن لهذا الشخص.

ولما شاع هذا الخبر بين الناس أخذ الحجاج يضعون فى داخل هذا الجدير عملة مجيدية صغيرة أو مسكوكات ذهبية أخرى، ثم يأخذونها ويضعونها فى أكياس نقودهم معتقدين أن مثل هذا الكيس الذى يحتوى على مثل هذه النقود لا يخلو فى يوم من الأيام من النقود، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد استجاب لدعاء إبراهيم ـ عليه السلام.

إن مقام إبراهيم ومبانيه دامت متماسكة مائة وإحدى وثمانين سنة بعد أن عمرها السلطان مراد خان الرابع فى سنة (١٠٤٣هـ) وبعد أن رممها وأصلحها السلطان مصطفى خان الثانى ابن السلطان محمد خان الرابع بعده باثنتين وسبعين سنة فى سنة (١١١٥هـ) وظلت مبانى المقام الشريف متماسكة إلى يومنا هذا بعد

إجراء الترميمات والإصلاحات من حين لآخر إلا أن مبانيه بليت بغتة وكادت تنهار، وحينئذ استأذن مدير الحرم الشريف فى تعمير الصندوق والستارة التى عليه والشبكة التى تحيط به وناحية المقام الشافعى على قدر الإمكان، حتى أمكن أن تستمر المبانى متماسكة لفترة ما.

وفى سنة (١٠١٦هـ) جدد السلطان مراد الرابع مبانى المقام الشريف وفى سنة (١٠٤٣) جدد بابها وأماكن الشبكة التى صبغها بلون أخضر وطلى الأماكن التى احتاجت للطلاء بالذهب، إلا أنه غير وجدد المبانى المذكورة كليا بعد سنة وذلك لشدة الحاجة إلى هذا التجديد.

الأثر السابع: داخل البيت المعظم

ساحة تبلغ (١٨٦٠) قدم مربع فى داخل كعبة الله المشحونة بالفيوضات الإلهية وقد نقش وزين داخل جدران البيت الأعظم بقطع رخام ملونة. وللسقف الشريف الذى يحاذى الركن العراقى سلم مثل سلم المآذن الحلزونى ذى سبع وعشرين درجة، ومصنوع من الخشب، ولقد أرسل هذا السلم من قبل الملك المؤيد من مصر عام (٨١٧هـ).

وبعد مرور إحدى وخمسين سنة احتاج السلم الذى أرسله الملك المؤيد إلى التجديد، فصنع الملك خوشقدم سلما غاية فى الجمال، وأرسله إلى مكة فى خلال سنة (٨٦٨هـ)، وجدد السلطان مصطفى خان سلم الملك الظاهر فى سنة (١١١٥هـ) جاعلا سبعا من درجاته من الرخام والباقى من الخشب.

وفى داخل بيت الله كرسى خاص بحامل مفتاح الكعبة السيد الشيبى، وهذا الكرسى فى غاية الجمال وقد أهداه السلطان الغورى فى سنة (١٠٤٣هـ) وجدد من قبل السلطان مراد خان الرابع.

وفى يمين الواجين داخل البيت الحرام توجد حفرة للخزانة، إن هذه الحفرة التى نسيت من قبل التاريخ هى الحفرة التى حفرت لوضع الهدايا التى ترد من قبل الناس لإبراهيم ـ عليه السلام ـ وعلى الستائر المعلقة على الجدران كلمات طيبة وأدعية مأثورة منسوجة بالحرير، ولباب الكعبة فى الداخل ستارة فى طول قامتين ونصف للإنسان وقد شغل عليها بعض الرسوم بالخيوط الذهبية، وسواء أكانت هذه الستارة أو الستارة الخارجية تغيران كل سنة ويقسم قديمهما بين خدمة بيت الله وكمر الستارة وستارة الباب من نصيب السيد الشيبى فى هذا التقسيم.

إن لبيت الله خدم زنوج عددهم واحد وخمسون، ويطلق عليهم بين الناس اسم الأغوات المخصيون.

ولا يجوز أن يزيد عددهم على الأربعين أو ينقص، وإذا ما حدث وزاد فهناك كثيرون يلازمون البيت ليقبلوا ضمن الأغوات[1] حتى بلغ عددهم الآن إلى واحد وخمسين نفرا.

الأوقات التى يفتح فيها باب بيت الله

يفتح باب بيت الله تسع مرات فى السنة على أن يكون الفتح لمدة ثلاث ساعات فى كل مرة، وذلك فى:

يوم عاشوراء العاشر من شهر المحرم.

والثانى عشر من ربيع الأول.

والثالثة: الخامس عشر من رجب.

والرابعة: السابع والعشرين منه.

والخامسة: الخامس عشر من ذى القعدة.

والسادسة: السابع والعشرين منه.

والثامنة[2]: العاشر من ذى الحجة. وقد جرت العادة أن يفتح فى المرة التاسعة

(١) ذكر تاريخ استخدام الأغوات فى الكعبة المعظمة والحجرة النبوية المعطرة وسبب استخدامها فى مجلد مرآة المدينة.

(٢) لم يذكر المترجم المرة السّابعة التى تفتح فيها الكعبة المشرفة.

بعد أداء صلاة العيد، وفى المرات السابق ذكرها بعد شروق الشمس، والجميع يحترمون هذا النظام وهذه المواعيد.

ويدخل الحجاج داخل بيت الله لزيارته عندما يفتح باب كعبة الله ولما كانت هذه الزيارة للخير المحض للجميع قد خص يوم من هذه الأيام لدخول الحجاج، ويوم آخر لزيارة نساء الحجاج، ومن العادات القديمة المستحسنة أن تلبس الكعبة كسوتها فى السابع من ذى الحجة وفى ليلة الخامس عشر من رجب وليلة اليوم السابع والعشرين يدعو حامل مفتاح بيت الله السيد (الشيبى) فى داخل بيت الله لأجل السلطان، وفى ختام الدعاء يلبس الخلعة المهداة من السلطان، وفى الأيام التى يفتح فيها باب بيت الله يؤتى بالسلم المتحرك الخاص بباب كعبة الله وبعده يتوجه كل دليل مع الحجاج التابعين له إلى الكعبة ليدخلوا فى بيت الله، وهنا يزدحمون ويحاول الحجاج أن يدخلوا كلهم مرة واحدة فيجرح كثيرون.

***

سلم بيت الله

لا يعرف من الذى وضع سلم باب بيت الله لأول مرة. إلا أن الملك المؤيد المصرى قد أرسل فى سنة (٨١٧هـ) سلما مزينا ومنذ ذلك العهد أخذ يجدد من قبل النواب الهنود، والآن لباب بيت الله سُلَّمان، أهدى أحدهما فى سنة (١٢٤٠هـ) من حاكم مدراس منور خان وأهدى الآخر فى سنة (١٢٩٧هـ) من حاكم (رامپور) كلب على[١] خان وقد وضع الجديد منهما فوق عجلتين متحركتين، وقد صنعت بعض أجزاءه من الحديد، وقد غطيت كل جهاته من مراقيه وارتفاعها والدرابزين وكل ما يرى فى خارجه وكل أماكنه بفضة، وطليت بماء الذهب ستة من الأصص التى وضعت فى مواضع ستة من السلم، والخشبة الموضوعة فوق الدرابزينين الجانبيين، والفراغات الموجودة تحت كل درجة، والفراغ الموجود تحت الدرجة الأخيرة للسلم، وأطراف فراغات السلم كافة، وعامة كل السلم كما يرى فى الصورة الخاصة به، وبما أن ذلك السلم المزين زادت زخرفته عن كل حد قرر العلماء بالاتفاق أن يستعمل ذلك السلم فى طلوع النساء ونزولهن، وكلما أريد أريد أن يفتح باب الكعبة لزيارة النساء يجلب ذلك السلم أمام باب كعبة الله، إن سمك الألواح الفضية لذلك السلم قدر مليمتر[٢] واحد وعيار فضته من نفس عيار الروبية الهندية.

قد حك فوق السلم القديم جملة (عبده منور) وإن بدا بزينة مصنوعة فى غاية الجمال وقد صبت من النحاس الأصفر وزخرفت بالذهب وقد صنعت أطرافها من خشب الأبنوس وبمهارة فوق تخمين البشر.

(١) قد حج هذا الشخص فى سنة ١٢٨٩.

(٢) المليمتر هو جزء من ألف جزء من المتر.

والأقسام التى صبت من خليط النحاس لما زيد فيها النحاس فالزخرفة التى عليها تلمع كأنها قد زخرفت اليوم ، ولما كانت مراقى السلم مصنوعة من خشب شجرة الطرفاء فهى متينة جدًا، الأخشاب التى فى خارج السلم صنعت كالأطراف من خشب الأبنوس فى شكل مزخرف، ووضع فوق ثلاث عجلات.

وكان الرسول الذى أوصل السلم الذى أهداه كلب على خان طلب أن يهدى إليهم السلم الذى أهداه (منور خان) للتبرك به ولما عرض الأمر على سلطات الخلافة للاستئذان صدر الأمر السلطانى بأن يحفظ السلمان لاستخدامهما بالتناوب وخصص السلم الذى أهداه (منور خان) لاستخدام الرجال والسلم الذى أهداه (كلب على خان) لاستخدام النساء كما سبق ذكره أعلاه وعلى هذا عندما يفتح باب الكعبة للرجال يستخدم السلم الذى أهداه منور خان وعندما يفتح باب الكعبة للنساء يستخدم السلم الذى أهداه كلب على خان.

نصيحة

لا يمكن لإنسان ألا يتمنى الدخول فى داخل البيت الحرام، ولكن يجب أن يراعى الأمور الآتية، وكل من لا يراعى هذه الحقيقة ويدخل فى الكعبة على عماه يكون قد ارتكب حراما ورضى أن يصاب بالإعاقة ونقل صاحب (شفاء الغرام) وأن النبى ﷺ قد دخل بعد الهجرة أربع مرات فى البيت الحرام، وصلى فيه فى أحد تلك الأيام الأربعة، وهذا اليوم هو الفتح واليوم الثانى للفتح، والثالث فى حجة الوداع والرابع فى عمرة القضاء، وكان فى ذلك الوقت لبيت الله ستة أعمدة، وكان مع الرسول ﷺ حينما دخل فى الكعبة حضرة بلال وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة، وبناءًا على ما يروى هؤلاء أن النبى ﷺ صلى داخل الكعبة جاعلا عمودان فى جهته اليمنى، وعمودان فى جهته اليسرى، وثلاثة من الأعمدة خلفه، وكان الناس فى القديم يدخلون داخل الكعبة بالأحذية، ولما خلع وليد بن المغيرة حذاءه عند دخوله الكعبة أخذ الناس يخلعون أحذيتهم وبعد ذلك لم يدخل الكعبة أحد بحذائه «محاضرة الأوائل».

ول وجهك شطر الحرم العظيم هذا

وأقم فيه فى سود الثياب

إن صحن الحرم هو روضة الخلد المقيم

فاقعد فى صحنه المربع

إن وجهه هو قبلة أهل الحسن من العرب

وسجدة ملاح العجم نحوه

وبما أن الريح تعلقت بحضنه

نثرت الغالية فى جيب الدنيا

ولما رفعت الريح طرف كسوته السوداء

اكتحلت عين الروح من حجره

«فتوح الحرمين»

مسألة:[1]

إذا ما أمكن الدخول فى بيت الله حين يخلو المكان من الازدحام بدون مشقة ويمكن الصلاة فيه بسكينة وهدوء فالصلاة فيه حلال، ولكن الدخول فيه عندما يزدحم المكان ويضيق فحرام، وبما أن ستة أذرع من ناحية حجر إسماعيل يعد من داخل البيت الحرام فأولى بالإنسان أن يدعو فى هذا المكان.

قال الزاهدى وجلبى فى شرح القدورى والإمام مالك والإمام الشافعى فى بعض أقوالهم: لا يجوز أداء الفرائض فى داخل كعبة الله، وأعلن بعض الأئمة عدم جواز التنفل أيضا. مع أن النبى ﷺ قد أدى فيه الصلاة أربع مرات.

(١) أنظر فى المسألة: إعلام الساجد للزركشى ص ٩١ وما بعدها.

obeikandl.com

والواجب فى هذه المسألة أن يستقبل الإنسان بعض جهات البيت الأعظم لذا أجاز أئمة المذهب الحنفى أداء الفرائض أو النوافل، وبناءًا على هذا يجوز أن يصلى فوق كعبة الله أيضا، إلا أنه مكروه لأنه إخلال بتعظيم البيت، حتى إن فوق الكعبة المكان السادس من الأماكن التى كره فيها النبى ﷺ، الصلاة كما جاء فى هذه الأبيات.

نهى الرسول أحمد خير البشر

عن الصلاة فى بقاع تعتبر

معاطن الجمال[١] ثم المقبرة[٢]

مزبلة[٣] طريقهم[٤] ومجزره[٥]

وفوق بيت الله[٦] والحمام[٧]

والحمد لله على التمام

الأثر الثامن: قرب بئر زمزم

هذا المكان بين مبانى بئر زمزم وشبكة مقام إبراهيم، ويمكن للإنسان أن يجد فيه مكانا يدعو فيه متى شاء.

إن عمق بئر زمزم ١٣٤ قدم و ٣ بوصات، وقطر فتحتها العليا ثمانية أقدام وبوصتان ويبعد من الجدار الذى على فتحته ناحية جدار الكعبة المعظمة ٤٧ قدم و٩ بوصات، ومقام إبراهيم ٢١ قدم و٩ بوصات.

وقد أعطى النبى ﷺ شرف سقاية زمزم إلى عمه عباس بن عبد المطلب، وكانت السقاية تنتقل إلى أبناء وأحفاد بنى عباس، ولما فضل بنو عباس عدم الإقامة فى مكة كانوا يقومون بهذه الخدمة بتوكيل أحد مشايخ بنى الزبير، وحينما انتقلت الخلافة إلى بنى العباس أديت خدمة السقاية فترة طويلة بالوكالة،

وذهب فيما بعد أحد مشايخ بنى الزبير ورجا أن تجعل خدمة السقاية فيهم بالأصالة، ولما حصل على الإذن بذلك أصبحت السلالة التى تنتهى إلى عبد الله بن الزبير تقوم بخدمة السقاية الكريمة.

وقد أديرت خدمة السقاية عدة عصور كما شرحنا من قبل إلا أنه مع كثرة الحجاج وزيادة السكان أصبح حصر هذه الخدمة كما كان فى عهد بنى عباس، أو فى عهد شيخ زمزم من أبناء وأولاد الزبير بن العوام، فى شخص واحد غير ممكن لإرواء الحجاج والأهالى، ولذلك اتخذ من قبل شيخ السقاية فى كل ركن من أركان الحرم الشريف سقاء لإرواء الموجودين، ولكن بعد عصر من الزمن رئى أن هذا النظام أيضا لا يكفى لإرواء آلاف الحجاج والأهالى، فزيد من عدد السقائين. حتى لا يتعرض الحجاج المسلمون لبلوى العطش، وحتى يجد بعض الفقراء وسيلة لكسب مصادر الرزق، فقد عين لحجاج كل ولاية من الولايات الإسلامية سقاء، وجعل هؤلاء السقاءون تحت رياسة الشخص الذى تعهد بالقيام بمهمة السقاية من المشايخ الزبيرية، والآن كل بلد إسلامى له سقاء معروف، وكل واحد من هؤلاء مكلف بحسن معاملة الحجاج الذين يتبعون له. كما أن حجاج ذلك البلد يلجأون إلى السقاء الذى عُيِّنَ لهم فى أمور السقاية، وهكذا استراح الحجاج من مشكلة السقاية، كما أن كثيرا من أهل مكة وجدوا مصادر رزق فعاشوا فى رفاهية.

ولكل سقاء الآن فى كل سنة خمسة أو عشرة وأحيانا عشرون وثلاثون أو أكثر من الحجاجُ، يأتون إلى مكة ويذهبون. ولما كان كل سقاء يقوم بإقامة وليمة حسب حاله مرة لحجاجه الجدد لأجل ذلك يطيب الحجاج خواطر السقائين بإعطائهم بعض النقود عند وصولهم إلى مكة، وعند حلول عيد الأضحى، كما أن كل حاج يحاول أن يرضى سقاءه عند عودته إلى بلاده، كما أنهم يساهمون فى تسهيل معيشة أسرة السقاء بإعطائه بعض النقود كل أسبوع.

ويؤوى السقاءون حجاجهم فى وكالات جيدة ويحرصون على خدمة مرضاهم، ويأخذون سجاجيد صلواتهم ويفرشونها فى الأماكن التى يود الحجاج أداء صلواتهم الخمس فيها، قبل حلول وقتها.

ويجد كل حاج قبل صلاته سجادته التى فرشت له، وبهذا يؤدى صلواته الخمس فى هدوء وراحة، ولذا يجب على الحاج أن يقابل خدمات سقائه بإعطائه بعض النقود، كما سبق أن ذكرناه، كما أن على السقائين أن يراعوا حجاجهم ويحسنوا معاملتهم ويعدون العدد الكافى من الناس حتى يقوموا بمهمتهم على أحسن حال.

فهم علاوة على فرش سجاجيد الصلاة فى الأماكن التى تعود الحاج أداء صلاته فيها حين حلول وقت الصلاة، يقدمون لحجاجهم عقب أداء فرائض الصلاة طاسا من ماء زمزم البارد، كما أنهم يحضرون الماء لحجرات الحجاج كل صباح من ماء زمزم.

إن شرب زمزم فى داخل الحرم الشريف ليس حكرا على المواقع التى يوجد بها السقاءون، لأن هناك فى شرق المسجد الحرام وغربه سبل يستطيع الحجاج العطشى أن يزيلوا ظمأهم بالشرب من هذه السبل، وإذا أرادوا أن يشربوا يستطيعوا أيضا بالشرب من الدلاء التى فى داخل مبانى بئر زمزم.

وبما أن ما يعطيه الحجاج لسقائيهم من النقود لا تقابل ما يدفعه السقاءون سواء أكان لضيافة الحجاج أو للخدمة الذين يستخدمونهم إلا أن الحجاج الذين أسقطوا عن كواهلهم فريضة الحجاج يرسلون فى كل سنة من بلادهم رسالة ومعها جرة معينة يستطيع السقاءون أن يتعيشوا بها فى غير مواسم الحج.

ويخجل السقاءون حجاجهم بأن يقدموا لهم فى الأيام الحارة مياه زمزم مبردة والسبب فى تبريد المياه هم الحجاج الذين تعودوا أن يرسلوا الرسائل للسقائين.

لأن الحجاج يكتبون أسماءهم أو أسماء أصدقائهم وهم فى مكة على أوانى

الماء التى يطلق عليها الزورق بحبر لا يمحى ويتركونها لسقائيهم. وعندما تصل الرسائل التى اعتاد إرسالها أصحاب الزوارق يملئون هذه الزوارق بماء زمزم ويصفونها على الساحة الرملية فى الحرم الشريف، ويغطونها بالحصر فيبرد الماء فى داخلها غاية البرودة وعندما تحل أوقات الصلاة يوزعون الزوارق على الحجاج الكرام.

إن خدمة السقاية المباركة تدار الآن بالطريقة التى ذكرت، يعنى يملئون زوارقهم بماء زمزم، ويأخذون بعضها إلى غرف الحجاج كما يبردون كثيرا من الزوارق فى الحرم لسقى الحجاج، ولما كانت سقاية الحجاج إلى الآن فى أيدى المشايخ الزبيريين فأبنية بئر زمزم وأبوابها تفتح من قبل واحد منهم كما أن أحدهم يطلق عليه اسم شيخ زمزم ورئيسه. ولما كان الإشراف على المؤذنين ورئاستهم فى يد المؤذن الشافعى فشيخ زمزم هو الذى يتولى هذا الأمر، ولما كان أول من يبدأ بأداء صلوات الفجر أئمة المذهب الشافعى فشيخ بئر زمزم يغلق باب بئر زمزم كل ليلة، ويفتحه كل صباح فى الوقت الذى اعتاد فتحه، وبهذا يعلن لسقاة الحرم الشريف أن الوقت قد حان للحصول على ماء زمزم، والشيخ الذى يتولى مهمة السقاية يأخذ من بئر زمزم عدة أوان من الماء قبل أن يفتحه للآخرين لشربه، أو لتقديمه لأصحابه، ولما كان هذا الماء زبدة ماء زمزم فطعمه لذيذ جدا ولونه لامع وصاف ولا يشبه ماء زمزم الذى يأخذه السقاة، وليكن فى علم الشاربين أن ماء زمزم كفاية عن خلاصة قطرة واحدة لماء عين تسنيم، وماء الكوثر، ماء الحياة الذى هو زبدة خالصة ومن هنا يستحق أن يطلق عليه الزبدة.

ولما كان الشراب من زبدة ماء زمزم يفيد فى تصفية الدم ولإدامة صحة الإنسان عامة فمن يريد أن يشرب من هذا الماء يجب عليه أن يحل عند شيخ زمزم.

شيخ زمزم فى عصرنا هذا هو الشيخ عبد الله[1] بن على بن محمد بن عبد

(١) ساق المؤلف نسبًا طويلاً للشيخ عبد الله هذا ينتهى به إلى سيدنا عبد الله بن الزبير (رضى الله عنه) إلا أن البادى عليه شدة الاضطراب فاختصرنا العبارة كما هنا.

السلام من نسل سيدنا عبد الله بن الزبير (رضى الله عنهم) وقد تعهدوا بأداء هذه الخدمة المشكورة سنة ١٢٨٢هـ.

إننى ـ المؤلف ـ قد تلاقيت مع عبد الله أفندى وحضرت مجالسه ونلت شرف شرب زبدة ماء زمزم كل صباح فى صحبته ودلالته. كان المرحوم السيد عبد الله من الأشخاص الذين يتمعتون بخصال حميدة وفضائل جليلة وكان من أذكياء علماء مكة، شخص خزانة علم، فريد فى الحلم والحكمة، ملكى الصفات، والسعداء الذين يتشرفون بصحبته يتمنون ألا يفارقون صحبته دقيقة واحدة.

تطهير بئر زمزم الشريف

نضبت مياه بئر زمزم فى عهد العباسيين وكادت أن تنقطع وبعد ما عمقها بناء يقال له محمد بن ضحاك قدر ستة أذرع لم ينقص ماؤها أبدا.

وكان أهل مكة يعتقدون أن مياه بئر زمزم يفور فى الليالى المباركة ويفيض، وأن مياه الكوثر تختلط بمياه زمزم فى تلك الليالى، وبناء على ذلك كانوا يهجمون على بئر زمزم ويقتحمونها بقوة حتى يخاف أن يصاب بعضهم بعاهات فى تلك الليالى، وهم يبذلون الجهد لأخذ مياه زمزم ولكن تحقيقاتنا لم تثبت ما يدعونه.

وقد حصلنا على روايتين بخصوص فيضان بئر زمزم.

الرواية الأولى:

اختلاط بعض المياه الجارية بماء زمزم ولما كان باب بئر زمزم يغلق فى الليالى المباركة من العصر إلى المساء؛ لذا كان يزيد الماء الموجود فى البئر قدر شبر.

والرواية الثانية:

عندما انسدت البئر المذكورة توارد إلى مكة كثير من الروحانيين، وفى تلك الليلة تغير طعم ماء زمزم وردوا ذلك إلى سبب سؤر الروحانين فى البئر. والحكاية الآتية كافية لتصديق هذه الرواية وتأكيدها.

القصة:

استيقظ أحد الفضلاء من المشايخ الزبيريين وقام من نومه ظنا أن وقت الترحيم قد حان، واتجه إلى الحرم الشريف، وبعد الطواف بالبيت صعد إلى المكان الخاص برؤساء مؤذنى الشافعية، وفوجئ بأن أبواب بئر زمزم قد فتحت، وأشعلت القناديل ودخل كثير من الناس فى أبنية بئر زمزم، وتعجب من الأمر، لأن من الأصول المتبعة أن يكون مفتاح بئر زمزم معه، ولكنه قال لنفسه: لابد وأننى استيقظت متأخراً وهؤلاء بعثوا إلى بيتى وأخذوا المفتاح. وبناء على هذه الملاحظة لم يقم من مكانه يتحقق من الأمر، ومن شدة حيرته وتعجبه لم يخطر على باله أن ينظر إلى الساعة، وبعد فترة أدرك أن المؤذنين لم يصلوا بعد، فظل جالسا فى هذا المقام قائلا: ما هذه الحال؟! وبينما هو يفكر فى هذا الأمر غلبه النوم وراح فى سبات، واستيقظ بعد فترة فإذا بالقناديل مطفئة وأبواب مبنى بئر زمزم مغلقة، فبادر بالقيام وأخرج ساعته من جيبه فرأى أن وقت الترحيم لم يحل بعد؛ فتوهم من هذا الأمر وخاف، وأخذ يتلو القرآن، وبعد ما وصل والده بفترة قص عليه الحكاية بكل تفصيلها، فقال له والده ـ يا بنى إن ما تشربونه صباحا من بئر زمزم من ماء حلو قائلين إنه زبدة ما هو إلا سؤر أولياء الله الروحانيين، ولا يشبه ماء زمزم الذى يأخذه السقاة: إذ يأتى أولياء الله الصالحون بعدما ينسحب الزوار فى الليل، وبعدما يطوفون بالبيت الحرام يدخلون فى مبنى بئر زمزم، ويشربون ماء زمزم حتى الصباح، ولا يمنعهم لا الباب ولا المدخنة، وبهذا الرد اطلع على هذا السر شديد الخفاء. انتهى.

وفى الواقع أن الماء الذى قلنا عنه الزبدة من ماء زمزم لا يشبه ماء زمزم الذى يؤخذ منها سواء فى الطعم أو اللون، إن طعم الزبدة فى غاية اللذة ولونها فى غاية الشفافية يفوق عن التصوير والتعريف. وقال بعض المدققين إن لماء زمزم الصافى خاصية زيت الزيتون، وبما أن ماء زمزم غير قابل للامتزاج بالمياه الجارية الأخرى فعندما يغلق باب أبنية بئر زمزم فماء زمزم يطفح فوق الماء، كما يطفح

زيت الزيتون؛ لذلك يختلف طعم ماء زمزم الذى يؤخذ صباحا. إن هذا التوجيه الوجيه غير قابل للاعتراض؛ لأنها خاصية ينفرد بها ماء زمزم عن المياه الأخرى مهما كانت لطيفة خفيفة لا يمكن منعها من الامتزاج.

فإذا ما أضيف قدح ماء مر إلى قدحين أو ثلاثة أقداح ماء حلو فيفسد طعم الماء الحلو، ومهما ترك من الوقت فالماء الحلو لا يطفح فوق الماء ويسترد لذته الأولى.

إن بئر زمزم الشريف يقع فى مواجهة باب كعبة الله المعظمة، وفى داخل مبانى حجرته[1] ولمبانيها ثلاث نوافذ مقابل باب كعبة الله. وينظر باب إلى الجهة الشرقية وفوقها خاص بمؤذنى الشافعية. ولاسيما شيخ زمزم أى الخاص برؤساء مؤذنى الشافعية. ومن هنا ينبه لأداء أذان صلوات الأوقات الخمسة.

لم يكن فى الأزمنة الأولى سور لفتحة بئر زمزم، وكان يحيط بها سور منخفض. وحدث فى عهد أبى جعفر المنصور من خلفاء بغداد أن سقط أحد الناس قضاء فى داخله، وحتى يمنع وقوع مثل هذه الحوادث قرر أن يَبْنِىَ على فتحتها سورًا بناء على الأمر الوارد من الخليفة. وبعد البحث والتحرى وجدوا حجرا فى ارتفاع ٦ أقدام و ٣ بوصات واستدارة قطره ٢٥ قدم فثقبوا وسطه ووضعوه فى فتحة البئر.

ثم أحاطوه دائرًا ما دار بشبكة حديدية، ومع ذلك بعض العشاق وأصحاب الشوق كانوا يرمون أنفسهم فى البئر ويغرقون، ولما أطلع السلطان أحمد خان الأول على هذا الأمر أراد أن يحول دون أن يقتل الناس أنفسهم، فأمر بصنع شبكة حديدية فى إستانبول وأرسلها إلى مكة المكرمة فى سنة (١٠٢٤هـ) فأنزلت تلك الشبكة إلى البئر وربطت بسلاسل حديدية تحت الماء بعدة أذرع. ولله الحمد لم تقع بعد ذلك حوادث محزنة مثل ما حدث.

(١) وقد جدد السلطان مراد خان الثالث هذه الأبنية فى سنة ٩٨٥هـ. كما أن السلطان مراد خان الرابع قد غير بابها وجدد طلاءها الداخلى فى سنة ١٠٤٣هـ.

إن مبانى البئر الشريف الموجودة فى يومنا هذا من آثار السلطان عبد الحميد خان الأول كما هو موضح فى التاريخ الذى فوق الباب.

وعمق بئر زمزم المكرم ٩٩ قدما و٣ بوصات كما ذكر آنفا، وماؤه فى كل آن وزمان (٤٥ قدما)، إذا ما نظرنا إلى أقوال المسنين من السقاة الذين يوثق بهم أنه إذا ما سحب الماء من بئر زمزم ليلا ونهارًا ولفترة طويلة من الصعب أن ينزح ماؤه.

مساحة بيت الله الأكرم

قال المرحوم السيد غبارى لأحد أحبائه وهو مؤلف كتاب مساحة بيت الله الأكرم: « سقط شخص فى بئر زمزم فى عهد السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم، وأرادوا أن يطهروا البئر وفقًا للشريعة بأن ينزحوا كل مياه البئر، وسحبوا المياه وبثمانية دلاء فى خمسة أو عشرة أيام على الدوام، ومع ذلك لم يستطيعوا أن ينقصوا المياه ولو بقدر إصبعين، وكان فى البئر ذلك الوقت ما يقرب من تسعة أذرع فلم يزد هذا الماء ولم ينقص، وقد تعجبت من هذه الحالة وقلت لنفسى ما الحكمة فى عدم نقص المياه فى البئر مع سحبها ليلا ونهارًا؟ وأخذت أسأل عن سبب ذلك ممن أتوسم فيهم الصدق وأثق فيهم دون كلل، وفى أحد الأيام قابلت البناء محمود الذى تجاوز المائة من عمره والذى يتوسم فيه قول الصدق.

فسألته وبجانبه بضعة أشخاص متقدمين فى السن موضحا له زيادة فضولى بهذا الخصوص، وقد تلقيت منه هذا الجواب:

جواب غبارى أفندى كما تلقاه من البناء محمود:

قال غبارى أفندى: «لم ينزل المطر الذى يسبب سيولا فترة تقرب من إحدى عشرة سنة فى عهد السلطان قايتباى المصرى، وجفت مياه جميع آبار مكة المكرمة، وأخذ الناس يأتون من بعيد وقريب مضطرين للحصول على المياه من بئر زمزم، وإننى كنت فى ذلك الوقت شابا، ولما كنت متضخم الجسم كنت صبى البناء، وحدث أن سقط أحد فى البئر كما حدث الآن. ونقصت المياه بمقدار أربعة

أمتار، وقرر الأشراف أن يخرجوا الشخص الذى سقط وأن ينظفوا البئر فى نفس الوقت، وبناء على رأى معلمى أحمد البناء قد ركبنا فى بكرات البئر ثمانية دلاء كبيرة، وأخذنا ننزح البئر وكنت أعمل بجانب معلمى أحمد، وبعد فترة استطعنا أن ننقص قليلا من مياه البئر، فنزلت مع أستاذى فى قاع البئر لتنظيفه وتطهيره، وإذا بعيون ماء ثلاث فوق خزانة ماء البئر، اثنتان تحاذيان البيت الأعظم، والأخرى تحاذى جبل أبى قبيس، وكانت المياه التى يقال إنها تمتزج بماء زمزم تأتى من هذه العيون.

ويؤيد قول محمود البناء ما قاله عبد الله بن المبارك: إن عين الماء التى تجرى من ناحية ركن الحجر الأسود عين ماء، كما يؤيد قول ابن شعبان: إن الماء الذى ينصب فى بئر زمزم من ناحية الحجر الأسود عين من عيون الجنة.

قد انخفض ماء البئر عن العيون التى سبق ذكرها ولذلك كان مزيتا قليلا، فسددنا تلك العيون سدا محكما، ونزحنا الباقى من المياه ثم ملأنا الدلاء بالطين المتراكم، وطهرنا خزانة الماء وظهر فى الطين الذى أخرج كأسان من البلور، وواحدة من الزنك وثلاثة من النحاس، وأربعة أعداد من الصحون الصينية، وعددان من عقد مرصع، وكان غير ذلك كثيرا من قطع خشب الأبنوس والخردوات المتنوعة. وبعد أن نظفنا البئر من الطين حتى أصبح البئر خاليا من قطرة ماء بعد أن طهرناها ونظفناها أدى كل واحد منا فى سطح قاع البئر ركعتين، وفتحنا العيون التى سددناها وخرجنا إلى ظاهر البئر، وبعدما خرجنا من البئر أخذت المياه تتدفق من العيون التى ذكرناها فى غاية القوة حتى ملأت البئر فى نفس اليوم، وتعدت المياه ما كانت عليه من قبل قدر شبر واحد». «انتهى».

وقد صدق الشيوخ الذين كانوا مع محمود على قوله قائلين: «نعم كل هذه الأقوال صحيحة، ونحن أيضا كنا حاضرين فى ذلك الوقت». إن هذه الحكاية تؤيد تماما القول الذى يقول إن مياه أخرى تمتزج بماء زمزم.

وقد عرف البناء محمود شكل داخل البئر وقال إن مقدار ٦٦ قدم و٨ بوصات من البئر، قد طلى بما يقال له لوكون[١] ومقدار ١٠ أقدام و ٨ بوصات قد بنى بحجارة منحوتة، وقال عن خزانة الماء: إنها حفرة ذات تراب ممتزج بالزيت، إن التراب الممزوج بالزيت يشبه كِلْسَهُ (نوع من الصلصال الذى تستخدمه النساء فى الحمامات).

والعيون الثلاث تنبع من هذا الطين وأن هذه العيون فى خارج خزانة الماء قليلا. انتهى.

وفى خلف أبنية بئر زمزم الجسيمة قبة الفراشين، وخلفها قبة العباس وهما قبتان فى غاية الجمال، ويحفظ فى قبة الفراشين قناديل البيت وفى عصر النبى ﷺ، كان الماء يوزع على الحجاج الكرام.

وقبة الفراشين مخزن متصل بأبنية دار التوقيت والمكتبة من ناحية باب الصفة، وكان أغوات البيت الأعظم يحفظون فيها الشمعدانات والمباخر الخاصة بالكعبة المعظمة والشموع وأشياء أخرى مباركة. وحينما هدموا مبانى المكتبة ودار التوقيت؛ هدموا هذا المخزن وسووا مكانه وضموه إلى البيت الحرام، وهذا المكان ساحة خالية تؤدى فيها الحاجات المسلمات صلواتهن. والأشياء التى كانت تحفظ فى ذلك المخزن توضع الآن فى قبة العباس المتصلة بأبنية بئر زمزم.

ولما كان سقف قبة العباس عاليا، فحينما هدمت قبة الفراشين فى سنة ١٢٩٩هـ رأى القائم مقام صادق بك من مهندسى أركان الحرب أن يضيف لقبة العباس ما يشبه طابقا، ووضع تحت الأشياء المبروكة الخاصة بالبيت الأعظم فى هذا المكان.

فوق بئر زمزم:

مكان مقبب يطلق عليه مظلة مؤذنى الشافعية، هذا المكان محفل مؤذنى

(١) عجين كلس مع الزيت.

الشافعية، وفى الأول كان له سقف بدون قبة، ولما سقطت أبنية ذلك المكان مع سقفها؛ جدده الملك المؤيد المصرى بشكل جميل.

وبينما كان السلطان مراد الثالث يجدد المسجد الحرام فى سنة (٩٨٥هـ)، جدد تلك المظلة أيضا وبنى عليها قبة جميلة. وبما أنها لم تعمر ولم يُعتَنَ بها فترة طويلة مالت فجأة إلى الانهيار بعد أن أصابها الوهن، ولأجل ذلك قد عمر وشيد تلك القبة مدير الحرم الشريف سنة ١٢٩٦، كما أنه أصلح وعمر خارج المبنى وداخله وزينه.

وكان المؤذنون إلى قرب عهد هارون الرشيد، كانوا يؤذنون تحت الشمس صيفا وشتاء. وقد عين المشار إليه عبد الله بن محمد بن عمر واليا على مكة فبنى أيضا مظلة صغيرة وهكذا حفظ المؤذنين من حرارة الشمس.

الأثر التاسع: ما خلف مقام إبراهيم

إن هذا المكان خلف مبانى مقام إبراهيم المقدس وبين بئر زمزم والمقام الشريف المذكور، والمكان الذى يجب أن يدعو فيه الإنسان فوق الحجر الرخامى الذى يقابل مفتاح الباب الذى يدخل منه إلى ذلك المقام. إن ذلك المكان هو الذى صلى فيه الرسول ﷺ، ودعا ربه.

يجاور هذا المحل اللطيف للجهة اليسرى لمنبر الحرم الشريف، وإن كان أداء الصلاة فيه والدعاء صعبا ولكن بقليل من الانتظار يمكن للإنسان أن يصل إلى أمله. واستجابة الدعاء فيه سريعا مشهورة لدى العلماء إذا ما دعا الداعى فى أوقات الفجر فى ذلك المكان اللطيف.

* * *

المنبر الشريف

يقع المنبر فى الجانب الشمالى لأبنية مقام إبراهيم، وعلى بعد ثلاثة أذرع تقريبا، وهو مرتفع مصنوع من الرخام وفى غاية الزخرفة والجمال.

ولم يكن هناك مِنْبَرٌ فى ساحة المسجد الحرام إلى أن زاره حضرة معاوية آتيا من الشام، وقد صنع المشار إليه منبرًا ذا ثلاث قوائم، وقرأ فوقه الخطبة. وفى سنة (٤٤هـ) وقبله سواء أكان الخلفاء الكرام أو الولاة العظام يلقون خطبهم وهم واقفون سواء أكانوا عند حجر إسماعيل أو عندما يتجهون إلى كعبة الله المفخمة. (محاضرة الأوائل).

وقد أخرج المنبر الذى صنعه ابن أبى سفيان من الحرم عندما ورد المنبر الذى بعثه والى مصر فى عهد هارون الرشيد.

وبدل المنبر الخشبى فى سنة (٧٦٦هـ) حينما أرسل ملك مصر الملك الأشرف منبرًا وفى سنة (٧٩٧هـ) أرسل الملك برقوق المصرى منبرا، وسنة (٨١٨هـ) أرسل الملك المؤيد منبرا آخر. وفى سنة (٨٨١هـ) أرسل السلطان قايتباى[1] منبرًا خشبيًا أيضا، وهكذا كان يتغير موقع المنبر وشكله كلما جددت أبنية المسجد الحرام إلى أن جاء عصر السلطان سليمان ـ طاب ثراه ـ فأرسل من باب السعادة منبرا فى سنة (٩٥٦هـ) ووضع حيث هو الآن. إن المنبر المذكور قد صنع من الرخام، وقد أظهر فى صنعه المهارة اليدوية إلى حد أنه إذا ما رآه من أظهر المعجزات فى نحت الرخام يظل حائرا مبهوتا أمام هذا المنبر.

الأثر العاشر: الصفا

اسم تل ملتصق بجبل أبى قبيس وسبب تسميته بهذا الاسم نزول (آدم صفى

(١) كان المنبر الذى أرسله السلطان قايتباى مصنوعًا فى غاية الجمال وكان مزخرفا بأنواع الذهب الملونة.

الله فوق هذا التل عندما جاء إلى مكة أول مرة). ولم يبق الآن أثر للتل وقد أشير إلى محل الأثر بمبنى ذى طاق وكمر.

لما كانت الصفا تثير حسد الفلك ووجهك نحو الحجر الأسود اصطفت عليها حشود من الملائكة وظهرك إلى الجبل ذى الكرم ومن يريد السعى يذهب أولا إلى هذا المكان ويصعد إلى مراقى المبنى المعروف بطاق الصفا ومن هناك يبدأ السعى.

والمسافة بين طاق الصفا والكعبة المعظمة مائة وستون ذراعا، كما أن المسافة بين المروة والصفا سبعمائة وستون ذراعا، والشخص الذى يريد أن يدعو فى هذا المكان يصعد إلى درجة من طاق الصفا ثم يتوجه إلى الكعبة، ويستدبر الطاق ثم يشرع فى الدعاء، ويمكن للإنسان أن يدعو فى هذا المكان متى شاء إلا أن الوقت المفضل للدعاء فيه أوقات العصر.

* * *

obeikandl.com

الأثر الحادى عشر: المروة

إن المروة فى جهة مستشفى الغرباء، وهى جبل فى اتصال السوق الطويلة التى يطلق عليها السويقة أو الشامية، وسبب تسميتها بهذا الاسم نزول حواء (عليها السلام) فوق هذا الجبل عندما جاءت إلى مكة المكرمة. والكلمة محرفة من كلمة مرأة. وسبب تسميتها بهذا الاسم عند مؤلف القاموس تكون هذا الجبل من حجارة قاسية متينة، صارمة ويطلق اسم مروة على مثل هذه الحجارة.

بين المروتين:

عندما يسعى الحجاج متحركين من الصفا يأتون إلى هذا المكان وهنا أيضا طاق عال عند أسفله بضع درجات، والداعى يصعد إلى أعلى درجة ويدعو متوجها إلى الصفا.

نظم

المروة التى بلغت الفلك الأزرق
على حافة قمتها قدح منقلب
إذا كان القمر يطلع مثلك من
الجبل فإنه يحطم عظمة الفلك
(فتوح الحرمين)

ويمكن للإنسان أن يدعو فى هذا المكان وقتما شاء إلا أن الوقت المفضل هو وقت العصر، ومن هنا عرفنا أن الصفا والمروة جبلان صغيران من جبال مكة.

رواية

يروى أن المشركين فى زمن الجاهلية قد وضعوا فوق جبل الصفا صنما يسمى إساف وعلى المروة صنما آخر يسمى نائلة، وكانوا يطوفون حول هذين الجبلين،

وعد المسلمون هذه الفعلة فى يوم فتح مكة من عادات الجاهلية، ورفضوا القيام به معتبرين هذا العمل عارا عليهم، أى أنهم رفضوا أن يسعوا بين المروتين، وبناء على هذا نزل الأمر القرآنى ﴿ فَلا جُنَاحَ ﴾ (البقرة: ١٥٨) وأصبح السعى من مناسك الحج الواجبة.

وكان العرب فى الجاهلية يصعدون فوق سفوح هذين الجبلين بعد انتهاء مناسك الحج، وكان الذين يجدون فى أنفسهم ما يفتخرون به يفتخرون بحسبهم ونسبهم، كما أن بعضهم كانوا يطلبون أمورا دنيوية.

ولم تكن هناك مبان فوق هذين الجبلين إلى عهد أبى جعفر المنصور، وكان الحجاج الذين يريدون أن يسعوا يصعدون فوق قمتى الجبل وينزلون عند سعيهم، فبنى أبو جعفر فوق الصفا طاقا ذا اثنتى عشرة درجة، وفوق المروة طاقا آخر ذا خمس عشرة درجة حجرية، وبهذا أنقذ الحجاج من مشقة الطلوع والنزول فوق الجبلين. سقط طاق المروة فى سنة (٨٠٢هـ) وانهار فجدد السلطان فرج بن برقوق المصرى طاق[1] المروة المذكور، وكذلك طاق الصفا وجعلهما فى شكل متناسق.

إن الطاقات التى صنعت فى عهد أبى جعفر المنصور قد جددت، فى عهد فرج بن برقوق المصرى عدة مرات ورممت وعمرت، ولكنها احتاجت للتعمير والتجديد بفعل الزمان، لذلك عمر وزخرف مدير الحرم الشريف السيد أحمد هذين الطاقين، بعد الاستئذان بشكل جميل وذلك فى سنة (١٢٩٦هـ).

الميلان الأخضران:

يوجد ما بين الجبلين ما يطلق عليه ما بين الميلين الأخضرين وهذا مكان مبارك طوله ٢٢ ذراعًا معماريًا. إن هذا المكان هو الذى رجعت فيه السيدة هاجر بسرعة لرؤية ابنها إسماعيل ـ عليه السلام ـ وكان ذلك المكان إلى سنة

(١) يروى عن أحد العلماء الذى يسمى سنجارى، قوله إنه لم تكن هناك حاجة لبناء هذين الطاقين إلا أنه لا بأس بهما لدلالتهما على حدود السعى.

(٣٤٧) مخيفا جدا لتركه مظلما، ولم تكن هناك علامات تدل على المكان الذى يجب الجرى فيه.

وفى السنة المذكورة أرسل الملك جاقمق من ملوك الشراكسة فى مصر إلى مكة رسولا يطلق عليه سودون المحمدى لتعمير بعض نواحى الحرم الشريف. ورأى سودون المحمدى أن ذلك المكان الذى يلزم الجرى به وهذا يُعَدّ من مناسك الحج مجهول من الناس، فوضع ميلين أخضرين علامة فى مسافة تمتد بينهما قدر مائة وعشرين ذراعا، ثم علق فوقهما قنديلين وعين شخصًا لإيقادهما ليلا، وبهذا أضاء المسعى الشريف وأناره، كما أنه عين المكان الذى هرولت فيه هاجر:

ويطلق الآن على ما بين هاتين العلامتين أى ما بين الميلين الأخضرين.

صورته فى الصفات قامة الخضروضفة ماء الحياة
أحد أطرافه المروة والطرف الآخر الصفا ليس ساعيه سوى أهل الوفاء
أن الناس قاطبة فى هذا المقام
وهم يحثون خطاهم فى المسعى
لكثرة تلاحم أجنحة الملائكة فيه ليس فيه موضع لقدم

الأثر الثانى عشر: المسعى

إن هذا الطريق ما بين طرفى الصفا والمروة فهو طريق وسوق ذو مدخلين. ويقع فى الجهة اليمنى بالحرم الشريف بالنسبة للشخص الذى يتوجه من المروة إلى الصفا، وفى الجهة اليسرى بالنسبة للشخص الذى يتجه من الصفا إلى المروة، ولما كان المكان مزدحما جدا ولا يخلو من الناس فيستحسن أن يدعو الإنسان فى أثناء السير والحركة.

ويجب أن نقدر هذا المكان وأن نعظمه غاية التعظيم. وأن نتذكر أن جميع

(١) وقد جدد السلطان مراد خان الثالث هذه الأبنية فى سنة ٩٨٥هـ. كما أن السلطان مراد خان الرابع قد غير بابها وجدد طلاءها الداخلى فى سنة ١٠٤٣هـ.

الأنبياء العظام والأولياء الكرام قد سعوا فى هذا المكان، يجب علينا أن ندعو قائلين: «إلهى بحرمة أقدام جميع الأنبياء العظام والأولياء الكرام الذين سعوا بهذا المكان».

إنه وادى المسعى وترابه لرفعة منزلته فأصبح درا وكحلا لأهل السلف
إن نقش قدمك على هذه الأرض هو روضة الفردوس يوم الدين
بما أن قدمك فى طريق الصدق والصفاء على أثر قدم المصطفى
ما كان من نبى ولا ولى إلا وطأت قدمه هذا المسعى

رواية

يروى أنه قد دفن فى المسعى سبعون نبيا ذوو شأن ولأجل هذا فالذى يسعى بين المروتين له أجر كمن أعتق سبعين عبدًا، ولما كان ما بين الصفا والمروة باب من أبواب الجنة فهذا المكان أيضًا من الأماكن المباركة التى يستجاب فيها الدعاء، ويجب ألا يشك فى هذا لأنه مؤيد بالأحاديث النبوية.

استطراد:

ذهبت أنا الفقير إلى منزل الرجل الورع الحليم الفاضل أحمد خانى أفندى لزيارته، وذلك بينما كانت أتعارف مع كرام الناس لجمع المعلومات عن مكة والكعبة، وقال فى أثناء حديثنا: «وإن كان أهل مكة الآن يبدون بالنسبة إلى سكان أهل مكة فى العصور السابقة، أناسا لا يستحقون رعايتهم واحترامهم، مع أنهم جيران بيت الله، يجب علينا أن نعد أقلهم شأنا أعظم الناس قدرا، وإننى لا أرى ضرورة لأن أذكر لكم أن من يحملون فى قلوبهم هذه النية الصادقة سينالون مطالبهم».

يقال:

بناء على رواية إنسان يوثق فى كلامه: «كان قديما فى مكة بين أهالى مكة شخص تافه حشاش فاضح للأسرار، لم يعرف رأسه للسجود طريقا، ذهب هذا الرجل فى يوم من الأيام إلى مقهى الحشاشين، وأعطى ما بيده من المخدرات إلى

صاحب القهوة، وطلب منه أن يعد له نارجيلة بما أعطاه، وبينما صاحب المقهى يعد له نارجيلة قال: إلهى إننى لم أسجد لك فى طول حياتى إذا ما قلت بأننى أبكى سيكذبنى أهل بلدتى لما يعرفون عنى»، وأخذ يندم ويأسف على أنه أمضى حياته عبثا، ثم صاح قائلا: «الله»، ثم لفظ أنفاسه الأخيرة.

وقبل أن يشيع مَوْتُ هذا الرجل ألهم أحد الصالحين بالآتى: «قد مات فى مكان فلان أحد الناس، فإذا ما جهزت جنازته بشكل حسن وحملت تابوته فإن الله يرضى عنك ويتقبل أعمالك».

وبعد التحقيق عرف أن الذى مات هو ذلك الحشاش الذى يذمه الجميع ويتحاشاه، وقد مات فى مقهى الحشاشين كما بيناه آنفا، فظن الرجل أن ما ورد لقلبه من الإلهام قد يكون خطأ فتحير لذلك كثيرا.

وعندما كشف أمره لبعض الذين يتوسم فيهم حسن الظن عرف أنهم ألهموا نفس ما ألهم به، وبناء على هذا لم يبق إلا أن يجهز جنازة الرجل ويغسلها ويكفنها على أحسن وجه وفق السنة بمساعدة أصحابه، ثم وصلوا على جنازته ودفنوها فى قبر هيئ فى مقبرة «المعلا».

ولم ير كثرة المشيعين واختلاف أنواعهم فى أية جنازة من أعيان مكة كما حدث فى تشييع جنازة هذا الرجل.

وبشر الذين حملوا التابوت فى طريقهم إلى المعلا بهاتف يقول: «قد غفر لكم».

وبناء على هذه الرواية فمن الأفضل للإنسان أن يظن خيرا بأهل مكة من أن يظن شرا ناظرًا لأحوالهم وتصرفاتهم الظاهرة. ولم يقع هذ الحادث فى عهدى إلا أننى لا أتردد فى تصديقه، وقبل هذا تعرضت مكة المكرمة لمرض وبائى مفزع، وسواء أكان الحجاج أو أهالى مكة كانوا يموتون فجأة وهم سائرون فى الطريق. ومن كثرة الجثث أصبح الذهاب إلى المسجد الحرام غير ممكن، وفى الأيام التى اشتد فيها المرض قد استولى على أنا الفقير خوف وخشية شديدين؛ لذا قررت أن أؤدى الصلوات الخمسة فى بيتى؛ ولكننى لم أستطع أن أضحى

بصلاة الجماعة، فذهب إلى الحرم الشريف لصلاة العصر، وبعد أداء الصلاة خرجت من باب الصفا كالعادة واستطعت بصعوبة أن أصل إلى مراقى طاق الصفا، وقد رقد الناس على طرفى الطريق ولم يبق فى طريق المسعى مكانا لقدم من كثرة جثث الموتى المسلمين.

ولما رأيت كثرة الجثث وقد رقد زيد على عمرو فزعت بشدة، ولم أستطع أن أتقدم خطوة بعد طاق الصفا وظللت مستنداً على مراقى الصفا وكأننى جماد بلا روح.

وبعد فترة صفع آذانى هاتف يقول: ألا تستحيى؟! ألا تؤمن بما جاء فى الآية الكريمة: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٣) وإنك عالم بقدرما، قد قرأت عدة كتب تفسير، وطالعت كتب الأحاديث إن شجرة الإيمان قد مدت جذورها فى روضة قلبك، وإذا ما تخلصت من وهم الخوف الذى استولى عليك وداومت على قراءة سورة ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ ﴾ (قريش: ١) فلا تحترز من شىء، وإذا ما قلت هذ السر لأى واحد تنقذه مما تلقيه الأوهام عليه.

واه! إن هذا لعيب وإثم كبير أيضا! وكأننى كنت ميتا قبل أن أسمع هذا الصوت، وكأن الصوت قد نفخ فى روحا ووهب لجسمى المنتفض الحياة.

فلم يبق أى أثر لهذه الأفكار التى أصبت بها فنظرت حولى، فوجدت أن ليس هناك نفر يتنفس، فوقعت مرة أخرى فى براثن الأوهام فسبحت فى أمواج بحر الاضطراب.

وفى النهاية فهمت أن الصوت من التلقينات الإلهامية، وأخذت فى قراءة السورة المباركة التى سبق ذكرها، وأخذت الصور العجيبة والأشكال المخيفة التى ألقتها الأوهام فى نفسى تزول تدريجيا، ولما وجدت فى جسمى قوة كافية للتحرك، قمت واتجهت إلى بيتى وأنا أقرأ سورة ﴿ لإِيلافِ ﴾ ولما وصلت إلى بيتى نبهت الجميع بلزوم قراءة السورة المذكورة والاستمرار فيها. ولما رأيت أن أوهام الخوف قد زالت عن أهلى أيضا أصبحت أوصى كل من أصادفه بقراءة سورة ﴿ لإِيلافِ ﴾. ولم يبق فى جميع الذين استمروا فى قراءة هذه السورة آثار

لأوهام الخوف، ومنذ ذلك الوقت أصبحت أذهب عقب كل صلاة إلى جبل الصفا وأمكث فى هذا المكان المبارك الميمون فترة.

نعم:

إن المسعى مكان غاية فى اللطف والسعد، وقد دفن فى هذا الطريق أنبياء كثيرون وليس هناك نبى لم يسع بين المروتين، ويجب على الذى يسعى فى هذا المكان أو يمر به أن يتذكر الأنبياء الكرام ويدعو.

ويجب الاستمرار فى قراءة سورة ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ ليس فقط فى مكة المكرمة، ولكن فى جميع البلاد وكل الأماكن.

فالذين يعتقدون بأن هذه السورة تدفع عن الإنسان الفزع والوهم والخوف لا تعتريهم أوهام الخوف». انتهى.

وتصيب الإنسان حيرة وهو يرى على جانبى طريق المسعى المحال والدكاكين، ووسط هذه المحال مكان للعبادة، ويدور فى خاطره استحسان رفع هذه السوق من هناك، وإذا ما لاحظنا أن هذه السوق كانت موجودة فى أيام النبى ﷺ، ولم يأمر بنقلها فلا ينبغى علينا إلا أن نسكت تأدبا قائلين: لابد أن هناك حكمة من بقاء هذه السوق وهذا من الضرورات الدينية التى يجب أن يسلم بها كل مؤمن.

الأثر الثالث عشر: الحجر الأسود

هو ذلك الحجر السعيد الذى يشبه رأس إنسان والذى وضع فى الركن الشرقى من الكعبة المعظمة على ارتفاع (٣ أقدام و ١٠ بوصات).

وكانت قطعة من هذا الحجر سقطت فى عصر القريشيين وحفظت فى بيت واحد من آل شيبة، وعندما حدد عبد الله بن الزبير بيت الله فى سنة (٦٤هـ) أحضرها وألصقها بفضة.

وحينما حج هارون الرشيد أدخله داخل غلاف فضى وفى خلال سنة (٤١٣هـ) كسر أحد الملاحدة المصريين فى أثناء طوافه ذلك الحجر بضربة دبوس قائلا: إلى متى سيعبد الحجر ويحترم إن حضرة محمد ـ عليه السلام ـ وعلى ـ رضى الله عنه ـ يمنعاننى من كسر هذا الحجر، وها أنا ذا كسرت الحجر الأسود بضربة واحدة، وهدمت بيت الله الواحد. وهجم الموحدون الطائفون على ذلك

الرجل وقتلوه. إن أربعة عشر من الفرسان كانوا ينتظرون إنقاذ هذا الرجل، ولما رأوا هجوم الموحدين على القاتل وهلاكه نزلوا من ظهور خيولهم، وشهروا سيوفهم، وزحفوا داخل الحرم الشريف وتكاثروا فيه حتى كونوا جماعة، وخَرَّبُوا بعض الأماكن وأتلفوا كثيرا من النفوس. وسقط الحجر الأسود من صندوق على الأرض فى أثناء هذه الفتنة، وظل فوق الأرضية الرخامية للمطاف، وفى اليوم الثالث جمع شجعان بنى شيبة قطع الحجر الأسود وألصقوها مستخدمين المسك والعجين المسمى لوكون[1]، ووضعوه فى داخل ظرفه وأعادوه إلى مكانه، وتعقب أهالى مكة كلهم القافلة المصرية ونهبوا كل ما يملكونه وقتلوا كثيرين منهم بسيف الشريعة المسلول.

وكان الشخص الذى أسقط الحجر الأسود على الأرض بضربة شقيا ذا وجه أحمر، طويلا سمينا كان خبيثا لا دين له ولا إيمان. وبناء على الرواية التى حققها محمد على بن عبد الرحمن العلوى إن هذا الحادث الأليم وقع فى سنة ٤١٣هـ وبناء على قول ابن كثير أنه وقع فى سنة ٤١٤هـ.

وفى سنة ٤٢١ حدث أن أحد ملاحدة الفرس (من البابيين) دنيئا جهنميا كسر جانبا من الحجر الأسود بضربة سيف، ولكنه ألصق بفضة خام وأحاطوا جوانبه الأربعة بحلقة فضية، وبعد مرور مائة وإحدى وخمسين سنة نزعه الشريف داود بن عيسى بن فليتة عند فتنته المفزعة وشيده وسواه السلطان مراد الرابع فى سنة ١٠٤٣هـ من جميع جوانبه بطريقة جيدة كما هو الآن، كما أن السلطان مصطفى خان هدم جدران جهاته الأربعة وبناها من جديد.

وبعد مرور مائة وإحدى وستين سنة يعنى فى سنة ١٢٠٤هـ عندما حدث ذلك الحادث المؤلم قد تكسر أحد جوانبه قدر إصبعين، إلا أنهم ألصقوه بلوكون الأسود دون أن يظهر الكسر.

(١) عجين من الكلس مع الزيت.

والسبب فى ذلك الحادث القتال الذى شب بين الشريف غالب وأخيه الشريف عبد الله، إذ قام قتال عنيف بين الشريف غالب وابن أخيه الشريف عبد الله فى التاسع والعشرين من شهر صفر الخير. وفى السنة المذكورة أطلقت من القلعة المدافع والبنادق مدة ثلاثة أيام فلم يؤذن فى داخل الحرم لثمانية عشر وقتا من أوقات الصلاة، ولم تصل صلاة جماعة فى تلك الأوقات المذكورة.

وقد أصابت رصاصة الحجر الأسود فى أثناء ذلك الحادث وكسرت منه قطعة قدرها ثلاثة أصابع وأسقطتها، فألصقت القطعة المكسورة بمادة لوكون، وفى سنة ١٢٥٩هـ أمر السلطان عبد المجيد بإدخال الحجر فى ظرف فضى وأعاد تصليح مادة اللوكون بشكل جيد، وإلى الآن فالحجر الأسود على هذه الحالة، ولما كان قد ألصق بمهارة ودقة لا يفرق الإنسان إذا كان ملصقًا أم غير ملصقٍ، وهيئة الحجر مربع قريب إلى الاستدارة وحجمه أكبر من شبر وأوسع.

* * *

معلومات دينية عن الحجر الأسود

إن الحجر الأسود الشهير حجر خرج من خزانة الجنة، وهو ياقوت مشع ويقال إنه عندما أنزل على وجه الأرض كان مضيئا وعدوا حدود الحرم الميمونة هى المناطق التى كان يضيئها.

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ سيبعث الحجر الأسود يوم القيامة بلسان وعينين، وسوف يشهد الحجر الشريف بالخير للذين استلموه بإخلاص ونية صافية، وبالشر للذين استلموه مستهزئين.

إن لمس الحجر الأسود والركن اليمانى يمحو الخطايا، وإن هناك بين الركن اليمانى وركن الحجر الأسود باب من أبواب الجنة، بناء على قول الحسن البصرى (رحمة الله عليه)، وكل من يدعو بين الركنين يستجاب دعاؤه، كما أن تحت ميزاب الرحمة مكان يستجاب فيه الدعاء.

وبناء على بعض الأقوال أن بجانب الركن اليمان ملكين، وبجانب الحجر الأسود عدد لا يحصى من الملائكة، وإنهم مأمورون بقول آمين لاستجابة دعاء الداعين، وثابت بالحديث أن بين هذين الركنين قد دفن ٩٩ نبيا، وأن ذلك الموقع روضة من رياض الجنة.

كان الحجر الأسود فى الأصل ملكا. وعين ليمنع آدم ـ عليه السلام ـ من أكل ثمرة الشجرة المنهية وأن يصونه. وقيل له «إذا أراد أن يتناول من هذه الشجرة فَنَبِّهْهُ بأنه منع من أكل ثمرة هذه الشجرة» وبينما شغل ذلك الملك بمشاهدة عجائب الفراديس وجمالها، أكل آدم ـ لحكمة ما ـ من ثمرة تلك الشجرة وأخرج من الجنة.

وعقب ذلك وجه إليه العقاب الربانى مثل الصاعقة: «يا أيها الملك كنت سببا

فى خروج آدم من الجنة» فتجمد الملك من شدة خوفه حجرا ثم أرسل إلى وجه الأرض.

قد كتبت هذه الرواية مترجمة فى تاريخ خميس، ويؤيد هذه الرواية الحديث الشريف الذى يقول بأن الحجر الأسود سيبعث ملكا ذا عينين، عندما خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلاق العالم ـ الأرواح، خاطبها قائلا: ألست بربكم، وأسرعت الأرواح المخاطبة للإجابة قائلة: بلى، وهذا ثابت عند عموم الناس ومصدق.

وحينئذ خلق نهرًا باردًا أحلى من العسل، وأمر بأن تكتب حجةٌ تتضمن إقرار واعتراف الأرواح التى قالت بلى، واتخذ قلم القدرة الإلهية النهر السالف الذكر مدادا، وكتب نتيجة إقرار الأرواح، ووضعت تلك الاعترافات فى داخل الحجر الأسود وعبئ بها. واستلام الحجر الأسود الآن تصديق بذلك الإقرار الأزلى ويذكر به. لأجل ذلك قال الإمام الباقر فى أثناء استلام الحجر: «اللهم أمانتى أديتها وميثاقى وفيت به ليشهد لى عندك بالوفاء» وهكذا أيد إقراره الأزلى.

كان لون الحجر الأسود حينما نزل على الغبراء ناصع البياض نقيا لامعا، ولكن أخطاء البشر المستمرة، ولمس واستلام النساء الحوائض للحجر؛ أدى إلى تغير لونه فأصبح حالك السواد.

قال عبد الله بن عمر رضى الله عنه: «إن جبريل عليه السلام حمل جوهرة الحجر الأسود من خزانة الجنات، كلما كان ذلك الجوهر الحجرى فى نفوسكم يزيد الخير والبركة... فلتحذروا أن تستهزئوا به وتحقروه وإلا فجبريل ـ عليه السلام ـ يرفعه من هنا ويوصله إلى مكانه القديم». وهكذا كان ينصح أهل مكة ويبين لهم مزيته وعظمته.

وفى الواقع أن ذلك الحجر غاب فترة ما فى عهد الجراهمة والعماليق والخزاعيين، وعندما ترك مضاض بن عمرو بن الحارث الجرهمى حكومة مكة الله المعظمة لأحفاد بنى إسماعيل، وتفرق مع قومه فى البلاد المجاورة، أخرج حلية جمال كعبة الله، الخال الأسود، الحجر الأسود من مكانه ورماه فى بئر زمزم.

إن الروايات التى ذكرت ابتداء من اللاحقة كلها صحيحة؛ لأنها نقلت بالأحاديث الصحيحة والأسانيد الموثوقة ولا شك فى ذلك.

استطراد:

إن مضاض بن عمرو بن الحارث الذى رمى الحجر الأسود فى بئر زمزم هو الثانى عشر من الملوك الذين حكموا القطر الحجازى، وأول من تربع على العرش من ملوك الجراهمة هو جرهم بن قحطان بن عابر. بينما كان يعرب أخوه يحكم فى اليمن مكان أبيه استولى جرهم على أرض الحجاز.

وانتقل حكم البلاد الحجازية للجرهم السابق الذكر وبعد وفاته لابنه (عبد يا ليل) وبعد ارتحاله إلى (جرشم) بن ياليل وبعد وفاته إلى (عبد المدان) بن جرشم بعده إلى (ثقيلة) ابن عبد المدان وبعد وفاته إلى (عبد المسيح) بن ثقيلة، وبعده إلى (مضاض) بن عبد المسيح، وبعده إلى (عمرو) بن مضاض، وبعده إلى أخيه (حارث) بن مضاض، وبعده إلى (عمرو) بن حارث، وبعد وفاته إلى أخيه (بشر) بن الحارث، وبعد وفاة بشر إلى (مضاض) بن عمرو بن الحارث، وانتقل حكم الحجاز فى عهده إلى أيادى الخزاعيين الغالبة.

عجيبة

يحكى أن المستعصم بالله البغدادى كان يملك حجرًا أسود، وأنه كان يجعل الناس يزورونه وكان بجانب ذلك الحجر كمرا، وكان ذلك الحجر فى حجم الحجر الأسود وشكله، وكان الكمر الذى بجانبه مستورا بستارة سوداء مصنوعة من قماش الأطلس.

وكان من آيات نخوة المستعصم أن من كان يريد أن يقابله من السلاطين والملوك لا يلقاه أحدهم قبل أن يزور ذلك الحجر، ويقبله كما يزورون الكمر المستور. وقد أرسل فى عهد آتابك سعيد مظفر الدين أبو بكر قاضى القضاة مجد الدين واسمه إسماعيل إلى المستعصم حاملا رسالة له، وفى اليوم الذى حدد للقاء الخليفة طلب منه أن يزور الكمر والحجر ويقبله مستلما، ولما كان مجد الدين رجلا تقيا فى غاية التقى وزاهدا أراد أن يعود دون لمس الحجر ورؤية

المستعصم، إلا أن رجال الدولة رجوه ألا يفعل، فدخل عند المستعصم حاملا فى يده مصحفا ووضع المصحف فوق الحجر وقبله وهكذا أدى رسالته.

نقل الحجر الأسود إلى ديار هَجَر

انتزع ملاحدة القرامطة الحجر الأسود من مكانه فى ركن الكعبة المعظمة سنة (٣١٧هـ)، وحملوه إلى ديارهم وأعادوه فى سنة (٣٣٩هـ) إلى مكانه.

كان القرامطة قد أخذوا الحجر الأسود ظانين أنه مغناطيس البشر، وأرادوا أن يجذبوا إليهم الناس، ولما سئلوا عن سبب ذلك قالوا: أخذنا الحجر الأسود مأمورين وأعدناه مأمورين إلى مكانه بشرط أن يكون فى المكان الذى وضعه فيه خليل الرحمن.

وقد رأيت أنا المؤلف الفقير أن الحجر الأسود يجذب البشر ـ رؤية عين ـ رأيت أن العربان الذين يقطنون فى أطراف مكة ونواحيها يفرون إلى مكة فجأة، وكلهم يقبلون على طواف كعبة الله والسعى قبل مضى الحجاج إلى عرفات ببضعة أيام ولسان حالهم يقول:

كأن الحجر الأسود فى وجه الكعبة خالا
أنا حاج لتقبيله أسعى إليها حالا

ويقتحمون المكان بقوة لتقبيل الحجر الأسود ولمسه، فى حال يظن الرائى من بعيد أن كثيرا من رءوس الناس تسير فوق العربان، ثم إن العربان يرضون أن يموتوا دون العودة من غير تقبيل الحجر الأسود، أى لا يرضون بالاستلام فقط، أليس هذا كافيا للدلالة على أن للحجر الأسود خاصية جذب الناس، ومن يريد أن يرى قوة جاذبية الحجر الأسود للناس رؤية العين يقتضى أن يكون فوق المحفل الخاص بمؤذنى الشافعية، والكائن فوق مبنى بئر زمزم حينما يفد البدو.

تقول كتب التاريخ وهى تحكى كيفية نقل الحجر الأسود إلى بلاد هجر: قد ظهرت حركة القرامطة فى عهد هارون الرشيد أو المأمون، وعلى قول المقتدر بالله كما سيوضح فيما بعد، ظهرت فى هجر وتجرءوا بعد ذلك تدريجيا على الإضرار

بممالك الشام والعراق والحجاز، إن رئيس هذه الطائفة الباغية الضالة الشقية أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد جنابى، بنى بيتا للضلال فى ناحية هجر[1] فى سنة ٣١٣هـ أو على رأى آخر فى سنة ٣٠١هـ.

وسمى هذا البيت «دار الهجرة» وأراد أن يصيب سوق كعبة الله بالكساد بتحويل طريق الحجاج إلى ناحية هجر، وابتدر للاستيلاء على مكة المكرمة بمن تجمع حوله من الأشقياء الخبثاء، ودخلوا حرم الله دار الأمن على حين غفلة فى يوم الأحد الذى يوافق يوم التروية فى سنة ٣١٧هـ وقتل ثلاثين ألفا[2] من أهل مكة، ومسلمى البلاد الأخرى الذين كانوا فى أرض المطاف والمسجد الحرام داخله وخارجه، وخاصة فى داخل كعبة الله المعظمة، وبعد ما ألقى بأجسامهم فى داخل بئر زمزم وآبار مكة المكرمة الأخرى، ثم خاطب الناس بصوت عال: يا أيها الذين يعتقدون أن من كان فى داخل الحرم آمنا، انظروا لهذا الأمن والأمان، وماذا فعلت بكم؟ وأخذ ينهق مثل الحمار ويهذى بلسان الاستهزاء الملعون.

وفى أثناء ذلك أمسك أحد الموجودين الشجعان بزمام دابة أبى طاهر غير الطاهر وقال له: يا ظالم الله ليس معنى الآية الجليلة اللطيف ﴿ **ومن دخله كان آمنا**﴾ (آل عمران: ٩٧) كما تفهمه، وسكت أبو طاهر غير الطاهر عن الكلمة القذرة، ووجه مطيته نحو باب المعلى لكعبة الله ولم يستطع أن ينال ذلك البطل بضرر. ومع ذلك ازدادت جرأته درجة فدرجة فانتزع بيده ـ شلت يده ـ ألواح كعبة الله المزينة، ونهب ستارة بيت الله وما فى خزانة البيت من الهدايا الثمينة، ووزعها على جنوده الضالين وأمر أحد القرامطة أن يصعد فوق سطح الكعبة لينزل الميزاب الذهبى، ولما رأى أنه قد أسقط على الأرض بسهم أطلق من جبل أبى قبيس أمر بصعود قرمطى آخر.

واللعين الذى صعد فوق سطح الكعبة فى المرة الثانية وقع رأسا على عقب وهلك، وحينئذ عرف اللعين أنه لَنْ يستطيع أن يقتلع الميزاب الذهبى، وأخذ

(١) الاسم الآخر للهجر البحرين.

(٢) قتل ألف وسبعمائة منهم محرمين يطوفون بالكعبة.

يبحث عن حجر مقام إبراهيم ولما لم يجده غضب أشد الغضب، وخرب مبانى بئر زمزم والمبانى الأخرى من الحرم الشريف، وبعد العصر اقتلع الحجر الأسود الأمانة الكبرى وفى يوم الثامن من دخوله فى مكة المكرمة، وعلى قول فى اليوم الحادى عشر منه ثم مضى متجها نحو هجر.

وفى هذا العام لم يستطع أحد أن يكمل حجه ذاهبا إلى عرفات غير بضعة من الذين آثروا الموت غير مهتمين بالحياة.

ولما وصل ذلك الملعون إلى هجر زاعما أنه قد حقق أمله كتب إلى عبد الله المهتدى من الملوك الفاطميين يخبره بما فعل، ويعرض تبعيته له ويذكره فى خطب الجمعة متقربًا منه، ولكنه تلقى منه الرد الذى يستحقه والذى قال فيه: واعجبا، إنك ارتكبت فى بلد الله أنواع الفضائح، ثم اقتلعت الحجر الأسود من مكانه وأخذته معك إلى ناحية هجر فى جرأة بالغة، إنك قد هتكت وأزلت ستارة الكعبة الشريفة التى ظلت معززة ومكرمة منذ العصر الجاهلى، ومع هذا تريد أن تذكرنى فى خطبك ألا فليلعنك الله.

وحينما تلقى منه هذا الرد أعلن عصيانه عليه أيضا، واحتفظ بالحجر الأسود فى هجر اثنين وعشرين عاما إلا أربعة أيام؛ رغبة فى أن يتوجه الحجاج إلى هناك لأجل الزيارة، ولكنه تعرض لحكم القضاء الذى يقول «الجزاء من جنس العمل» إذ أصابه مرض الأكلة[1]، وهلك وألقى فى حفرة البوار.

لاحقة

يروى أن من جملة أوامر أبى طاهر غير الطاهر بقر بطون الجثث وإخراج الأمعاء وملئها بالخمر بعد غسلها.

وقطع ألسنة الذين يطفئون القناديل قائلين «بوف» وإقرار اللواط بعدم الإيلاج بـ (فرطا)، وسحب الذين يولجون بالإفراط على وجوههم وسحلهم ما يقرب من أربعين ذراعًا، وقتل الشبان الذين يمتنعون عن اللواط وتعظيم الزنا.

(١) أكلة: مرض يطلقه الأطباء على السرطان وهذا المرض نوع من المرض مثل جرح ينتشر حوله حتى يهلك المريض.

إعادة الحجر الأسود

إلى مكة المكرمة

ولما رأت طائفة القرامطة بعد هلاك أبى طاهر أن أفكاره غير قابلة للتنفيذ، ولا تروج قرروا إرسال الحجر الأسود مع شخص يسمى ثبير، أو سنبر بن الحسين إلى مكة المكرمة، وعرضوا الأمر على ثبير ونال ذلك القرمطى شرف وضع الحجر الأسود فى مكانه، إذ وصل إلى مكة فى يوم النحر بعد أن كان قد بدأ رحلته فى أواخر سنة ٣٣٩هـ.

قد سر المكيون أعظم سرور بوصول الحجر الأسود، ووضعوه فى داخل كعبة الله خوفًا من حدوث فجيعة أخرى، وبعده أعدوا طوقًا فى ثقل (٣٠٣٧) درهما ووضعوا الحجر فى مكانه القديم.

وكان السلطان عبد الحميد خان قد جدد ذلك الطوق ومازال عليه طغراء السلطان المشار إليه.

قصة غريبة

قال: ثبير بن الحسين الذى أحضر الحجر الأسود إلى مكة عندنا حجارة سوداء كثيرة فاختاروا من هذه الحجارة حجرًا أسود لكعبة الله. ووضع على الأرض بضعة من الحجارة السوداء، وكانت هذه الحجارة تشبه بعضها بعضا بحيث لا يمكن لإنسان أن يفرق بينها قيد أنملة. لم يستطع أهالى مكة أن يفرقوا بين تلك الحجارة وعرضوا الأمر على أحد الكرام.

وطلب ذلك العالم أن ترمى جميع الحجارة فى داخل حوض الماء، فرسبت جميع الحجارة فى القاع إلا حجر، أخذ يطوف فوق الماء وقال عندئذ هذا هو الحجر الأسود صنوا الجواهر الذى نريده، فأشار بإصبعه إليه، وإذا بالقرمطى ثبير كان قد وضع علامة على الحجارة الأخرى، وقد عاين الحجر الذى اختاره العالم الجليل ثم قال نعم هذا هو الحجر الأسود الذى نقله أبو طاهر إلى بلاد هجر، لأننى كنت وضعت علامة فوق الحجارة الأخرى.

حكمة

بينما كان القرامطة ينقلون الحجر الأسود إلى بلادهم التى يسمونها هجر، قد نفق تحت نقل الحجر الأسود (٣٠٠) جملا قويا فى مقتبل العمر أو (٥٠٠) جمل بناء على رواية أخرى. وعندما أعاد ثبير بن الحسين الحجر كان قد حمله فوق جمل نحيل ضعيف، لم يمت من شدة التعب، بل إنه لم يتعب وسمن وتضخم.

وكان العباسيون لم يستطعيوا أن يردوا الحجر بالحرب مع القرامطة، وأرادوا أن يعيدوه بدون حرب واعدين أبا طاهر بخمسين ألف دينار، إلا أن هذا الملعون الملحد لم يقبل ذلك، ولكن أعوانه حملوه بدون أن يأخذوا شَرْوَى نقير (والله على كل شىء قدير).

مظالم القرامطة الخبثاء وجرائمهم

أول من خرج من طائفة القرامطة هو الملعون «أبو سعيد بن بهرام جنابى. ويقول الذين يعرفوننا كيف ظهر هذا الرجل وأين أوقد نار الشر أولا. إن صاحب مذهب القرامطة ومخترعه هو الخنزير يحيى بن زكرويه، إذ جاء هذا الرجل فى سنة ٢٧٨ أو ٢٨٩ إلى بلدة القطيف[١]. ونزل ضيفا عند على بن يعلى من أعيان البلدة، وأسر له أنه مبعوث من قبل الإمام محمد المهدى، وأن وقت ظهور هذا الإمام قد اقترب وأخذ يدعو أهالى القطيف وسكان الناحية، واستطاع أن يَضُمَّ إليه بعض الجهلة والحمقى من سكان القطيف وسكان ناحية البحرين ويخدعهم، وكما استطاع أن يضم إلى مذهبه أبو سعيد الجنابى من كبار شيوخ القبائل واختفى بعيدا عن العيون.

ثم ظهر مرة ثانية وهو يحمل خطابا مزيفا من قبل الإمام المهدى يتضمن أنه قد أمر بدعوة الناس إلى مذهبه، وأن يأخذ من كل واحد ممن اتبعوه مبلغ ستة

(١) القطيف بلدة فى الجهة الشمالية من مدينة الإحساء وعلى بعد ست مراحل من البصرة، وعلى ساحل الخليج العربى.

دراهم وأربع دوانق[1]، وبعد أن استطاع أن يدخر بهذه الخدعة مبالغ كبيرة من النقود اختفى فترة أخرى، ثم ظهر مرة أخرى وفى هذه المرة أظهر لأتباعه رسالة مزيفة أخرى من قبل الإمام، حيث أمره بأن يأخذ من أتباعه خمس أموالهم ويسلمها له، واستطاع أن يحصل على أموال كثيرة من جميع الأنواع.

واستضيف فى هذه الفترة من قبل أبى سعيد الجنابى حيث حل فى داره المنكوبة، وأراد أبو سعيد أن يكرمه غاية الكرم فأنامه على فراش واحد مع زوجته وقبل أن يكون ديوثا.

وعندما شاع خبر احتفاء أبى سعيد بيحيى بن زكرويه غاية الحفاوة حتى قدم له زوجته لتنام معه فى فراش واحد وغيره من مراسم الإلحاد والإباحة وأخذ الناس يتناقلون سيرته، استدعى يحيى بن زكرويه من طرف رجال الحكومة وأذل وحقر، وبعد فترة طرد من حدود البحرين بعد أن نكل به.

إن هذ الملحد ذو المزاج الكلبى حط عصا ترحاله من بلاده بنى كلاب وحرص على نشر مذهبه الباطل بينهم وزادت قوته بعون بعض الناس والأقوام، فاستولى على أطراف الشام وسفك دماء المسلمين وهتك أعراض نساء الموحدين.

ووصل إلى ذروة البغى والشقوة بارتكاب المظالم والفساد، وعندما وصلت قوة ابن زكرويه وشوكته إلى درجة ترهيب خلفاء بغداد أخذ يكر على دمشق بالشام بدون توقف، وهزم الفرقة العسكرية التى واجهته بقيادة طغج بن جف[2] شر هزيمة، وحاصر دمشق الشام فى سنة ٢٩٠هـ، وإن كان الجيش الذى سيق من الشام قتل ابن زكرويه؛ إلا أن أخا زكرويه حسين حمد تولى القيادة، واستنجد بكثير من القرامطة وشدد الحصار على دمشق، وفى النهاية انسحب بناء على رجاء الأهالى وطلبهم بعد أن أخذ مبالغ كبيرة من النقود، ولكن عندما انسحب من دمشق هجم أتباعه قوائم الحشرات على حلب واستولوا عليها فى

(١) الدانق جزء من ستة أجزاء من الدرهم.
(٢) كان طغج بن جف أمير بلدة دمشق بالشام.

الحملة الأولى. وأعلنوا أن اسم صاحب الشام أمير المؤمنين للعهد، وبناء على التعليمات التى تلقوها أمروا بأن يذكروا اسمه فى خطبة الجمعة.

وبعد هذا النصر اتخذ صاحب الشام ابن عمر عبد الله وليا للعهد، وسماه المدثر وادعى أن المدثر الذى ذكر فى القرآن هو عبد الله الذى سبق ذكره، وأراد بهذه الطريقة أن يخدع الناس ويبسط سطوته ويوسعها إلا أنه لم يوفق.

وهجم صاحب الشام بعد ذلك على حماة بعد حلب والمدن والقرى التى حولها، وأخذ يقتل كل من يصادفه من الأهالى مع أولادهم وعيالهم، وأخيراً وصل إلى بلدة سَلَمْيَة التى استسلم سكانها دون أن يدافعوا عن أنفسهم فقتلهم جميعا حتى تلاميذ المدارس الصغار[1].

لما أزعج ما يرتكبه صاحب الشام من المظالم والغدر مسامع المكتفى بالله البغدادى فتحرك بما جهزه من العساكر الكثيرة من بغداد وتوجه إلى بلد الرقة.

ومن هنا وجه جنوده جف وفرق القرامطة، وتقابل البغداديون مع القرامطة فى مكان يبعد عن حماة اثنى عشر ميلا وبدأت حرب ضروس.

وإن كان القرامطة هربوا من شدة صولة البغداديين غير قادرين على صد هجومهم إلا أن جنود بغداد لم يتعقبوا فلولهم المنهزمة وقبضوا على صاحب الشام وكذلك ولى عهده المدثر[2] وسلموهما للخليفة الذى كان ينتظر النتيجة.

بعد ما قضى جنود الخليفة تماما على القرامطة عاد منصورا إلى بغداد حيث صلب صاحب الشام مع رفقاء له وشهر بهم فى سنة ٢٩١هـ. إن فرقا من القرامطة الذين نجوا من سيوف البغداديين تربصوا فى طريق العراق، وكانوا يسيرون ليلا منها ونهارا، ويهاجمون المارين وعابرى السبيل ويسببون لهم خسائر كبيرة، وكانوا يختفون من الجيوش التى أرسلتها حكومة بغداد فى أماكن خفية.

إن هذه الفرقة الخبيثة قد هاجمت قافلة حجاج العراق فى سنة ٢٩٤هـ،

(١) انظر: تاريخ الطبرى ١٠/ ١٠٠.

(٢) المدثر هذا كان عبد صاحب الشام وهو رومى الأصل.

وقتلت ما يقرب من عشرين ألفا من الأبرياء ونهبت أموالهم. ولما علم المكتفى بالله بهذا الحادث المفجع جهز فرقة عسكرية وساقها ضد الفرقة الحقيرة فتعقبت الفرقة البغدادية القرامطة، وأسرت كثيرين منهم مع قوادهم بعد ما قهرت ودمرت الباقى، ولما كان القائد[1] المأسور للفرقة الباغية جريحا مات متأثرا بجرحه بعد ستة أيام.

بعد ما مات صاحب الشام انتقلت قيادة جماعات القرامطة عامة إلى أبى سعيد بن بهرام الجنابى الذى بدوره جهز أفراد الجماعة الخبيثة، وجمعهم وأخذ ينشرهم كالجراد حول بادية الشام وفى الحروب التى كانت تقوم بينهم وبين الجنود الذين ترسلهم حكومة بغداد ينهزمون أحيانا وينتصرون أحيانا.

وتفرقوا إلى فرق صغيرة وتكاثروا، وأخذوا يقتلون الناس كلهم حيث تطأ أقدامهم. حتى إنهم فاجأوا قافلة من القوافل الحجازية بالهجوم وأعملوا سيوفهم فى أفرادها حتى قتلوا عشرين ألفا من المسلمين، ولم يبق نفر يتنفس.

وقد زاد بعد هذه الفاجعة صاحب الشام من غدره وظلمه حتى استطاع أن ينتزع بلدة القطيف من يد العباسيين بنباح كلاب الإلحاد والإباحة، ثم نهب البحرين ونواحيها وأخذ يتجرأ فى إهانة أهل الإيمان فى صورة مستهجنة.

واستولى على البصرة وملحقاتها وأصبح واليا على حشرات الشقوة التى دخلت فى دائرة الرفض والإلحاد، ووسع دائرة الإباحية و الخيانة[2].

الاستطراد

البحرين مدينة غاية فى المتانة والاستحكام وتقع فى غرب جزيرة البحرين التى تقع فى خليج البصرة فيما بين خطوط الطول ٤١ درجه و ٥ دقائق شرقا، وخط العرض ٢٦ درجة و٢٠ دقيقة شمالا، بطول ٢٥٤ ميلا و٧٠ ميلا من الجهة

(٢) المقصود به صاحب الشام.

(١) راجع فى أخبار القرامطة: تاريخ الطبرى ١٠/ ٢٣ ـ ٢٧، ٦٤، ٧١، ٧٥، ٧٦ ـ ٧٩، ٨٢، ٨٦، ٩٤، ٩٥ ـ ٩٧، ٩٩ ـ ١٥٥، ١٢١ ـ ١٣٣.

الشرقية الشمالية لمكان يسمى لا شر، ويحدها شرقا بحر الفرس، وشمالا إقليم البصرة، وغربا نجد العارض، وجنوبا عمان وسكنتها من سلالة عبد قيس.

وبما أن الأنهار والعيون تكثر فى هذا الموقع تَتَزَيَّنُ أطراف أنهارها بأشجار الحنة والقطن والسوسن، وكل مكان يحفر فيه قدر ذراعين يخرج منه الماء، ومن يشرب ماءها تصفر ملابسه، وفى هذه البلاد فاكهة مختلفة ولاسيما البلح والأرز متوفران، والسكان يذهبون للتنزه فى الأيام الحارة للحدائق التى تبعد ما يقرب من ميل واحد. فى هذه البلاد رمال متحركة، والتى يطلق عليها بحار الرمال، وما يرى هناك اليوم جبال تراه فى يوم آخر أرضا منبسطة، وما كان اليوم معمورا تراه فى الغد خرابا.

والطريق الواسع الذى يبدأ من البحرين تطمسه الرمال فيستحيل السير فيه، لذا يذهب الناس ويأتون عن طريق البحر.

كان البرتغاليون قد استولوا على ممالك البحرين قديما والآن فى يد الشيخ «أبو شهر» ومع هذا فلا يطلق البحرين على الجزيرة فقط بل يطلق على الجزر الأخرى التى تحيطها، والتى يستخرج سكانها اللآلىء من البحر، وهناك إقليم يمتد إلى الغرب ويطلق عليه البحرين أيضا، وذلك لاتصال البحيرة التى بالقرب من الإحساء ببحر الفرس. انتهى.

بينما كان أبو سعيد يخرب القرى والبلاد لنشر مذهب الإلحاد ساق المقتدر بالله العباسى الذى كان خليفة فى تلك العهود عددا من الجنود بقيادة «عباس بن عمرو الغَنَوِىّ» ليفرق جمع أبى سعيد. وانتصر أبو سعيد عليهم وأسرهم جميعا ثم قتلهم جميعا، وأبقى عباس حيًا، وقال: يا عباس إننا القرامطة أناس نعيش فى الصحارى والفيافى ونقنع بالقليل لأنا لسنا طامعين فى الاستيلاء على البلاد، فإذا جمعت جميع جنودك وسقتهم على، أقسم بالله بأننى أنا المنتصر، إن جنودنا يتحملون المشاق ويعتقدون أن حياة الرفاهية حرام، قد تعود جنودكم على قضاء أوقاتهم فى راحة ورغد عيش والتَّنَعُّمَ بما طاب من الطعام ولذ فى ظل الخليفة،

فإنهم لا يستطيعون القتال، فإذا ما خرج جنودكم فى الصحارى تاركين راحتهم يموتون مثل السمك الذى خرج من الماء.

والعساكر الكثيرة الذين سقتهم علينا مثل النمل قد أصابهم التعب والضعف منذ خروجهم من بغداد، وانهزامهم فى أول حرب أكبر دليل يؤيد رأيى، إذا ما أرسلتم جنودا أشجع ممن أرسلتم وأكثر مما سأجهزه أنا من العساكر فإننى أهرب من أمامهم بعد أن أتعبهم، كما أننى أتصدى لهم فى مضيق ضيق فأقطع خط رجوعهم، وأهزمهم وأولى بكم ألا تشغلوا أنفسكم بى، ولا تهلكوا جنودكم عبثا، وقد حقنت دمك حتى توصل هذه الأقوال بالتفصيل إلى الخليفة، دون أن تنقص منها كلمة ثم أطلق سراحه وخَلَّى سبيله.

وقد عاد عباس بن عمرو الغنوى إلى بغداد وهو فى شدة الحيرة من نجاته من يد أبى سعيد. ولما أبلغ عباس ما قاله أبو سعيد إلى المقتدر بالله بالتفصيل خاف الخليفة، واضطرب ولم يستطع أن يذكر اسم القرامطة بلسانه مدة طويلة.

ومع هذا استطاع أن ينقذ أهالى الكوفة من اعتناق مذهب القرامطة، إذْ ظهرت جماعة من القرامطة وأخذوا فى إضلال الناس فى الكوفة، وبعث الخليفة بجنود من مركز الخلافة وقوة عسكرية قضت على هذه الجماعة.

وانتقل أبو سعيد فى سنة ٣٠١هـ إلى دار البوار[1] بعد أن ارتكب كثيراً من الجرائم إلى تلك السنة تاركا ميدان الخباثة والشقاء إلى ابنه الكبير سعيد.

وتولى ابنه سعيد مكانه بعد وفاته، إلا أنه ما كان يشبه أباه فى إلحاق الأذى بالناس، فتولى تدبير الأمور ابنه الأصغر سليمان أبو طاهر، وكان ظلوما غشوما سفاحا، فاستولى على الإحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين ونواحى هجر، وبعد أعوام عشرة أغار ليلا على مدينة البصرة، وأثناء مقامه فيها سبعة عشر يوما قتل كل من صادفه، وأعمل السلب والنهب فى الناس جميعا، وكان ذلك عام ٣١١هـ، وبعد عام من تلك الواقعة المؤلمة أغار على قافلة الحجاج ونهبها.

(١) يقول الذين يروون كيفية هلاك هذا الرجل: كان أبو سعيد قد دخل الحمام فى خلال السنة المذكورة فضربه أحد خدمه الذى عانى من سوء معاملته على رأسه بفأس وقتله.
إن هذا الخادم بعد أن قتل هذا الخبيث قتل أربعة من رؤساء القرامطة ولما شاع هذ الخبر قتل هذا الخادم.

وكان يسلك الذكور والإناث فى السلاسل على نحو بشع مهين، وألحق الهزائم بمن تصدى له من الجند وكان ذلك عام ٣١٢هـ، وبعد إغارة أبى طاهر على قافلة الحجاج هجم على معظم سواد الكوفة، وأعمل السيف فى الخلق فى ظرف ستة أيام، أقام فيها ونهب واغتصب كل ما وصلت إليه يداه فى سنة ٣١٣هـ.

وعندما عرض الأمر على المقتدر بالله استصوب أن يوجه ضد أبى طاهر فرقة عظيمة من الجيش بقيادة يوسف بن أبى الساج. كان يوسف فى ذلك الوقت فى أذربيجان، وبمجرد ما أخذ أمر الخليفة توجه إلى الكوفة بجنوده الذين كانوا مهيئين. وكان قوام جيش ابن أبى الساج أربعين ألفا، أما جيش أبى طاهر فكان ألف وخمسمائة جندى منهم سبعمائة فارس.

ودخل يوسف بن أبى الساج المغرور بكثرة عساكره، وحاصر القرامطة فى موضع حصين ووجه سفيرا برسالة إلى أبى طاهر ليحدثه عن كثرة جيشه، ويوصيه فيها بالدخول فى طاعة الخليفة. فقال أبو طاهر لأحد أتباعه اقتل نفسك بسلاحك من أجلى، وبعد أن افتدى هذا الكلب «أبا طاهر» بالروح، قال للرسول لقد رأيت بعينيك كيف يطيعون أوامرى!! قل ليوسف أن يستعد، وبإذن الله سأقبض عليه غدا وأربطه مع الكلب فى حبل واحد، وأشار إلى الكلب الذى كان مربوطًا بوتد خيمة.

وصرف الرسول وفى غد ذلك اليوم استطاع أنْ يقبض على يوسف بن أبى الساج مع أتباعه، وربطهم فى سلسلة ضخمة، وربط يوسف بجانب الكلب الذى أراه للرسول.

بعد أن كسب أبو طاهر هذه المعركة بهذا الشكل عبر نهر الفرات بثلاثمائة قرمطى، واستولى على بلدة الأنبار[1] التى تقع فى الجهة الغربية من بغداد دار

(١) الأنبار مدينة صغيرة فى الجهة الغربية من نهر الفرات، وكانت قديما مدينة عظيمة وبانيها بختنصر، ويقال إن أهل الحيرة نقلوا إليها، فى العام الثانى عشر للهجرة، وفتحها خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ فى خلافة الصديق ـ عليه رضوان الله ـ وفى عام مائة واثنين وثلاثين نقل أبو العباس السفاح أول خلفاء بنى العباس إدارة الدولة من الحيرة إليها، إلا أن المنصور اتخذ الهاشمية ثم بغداد عاصمة للدولة.

الخلافة وفوقها بستين كيلو متر. استولى عليها بالقوة وهزم الجيوش التى أرسلت ضده مرتين، وقتل يوسف بن أبى الساج الذى أسره مع رفقائه، وهكذا ألقى الرعب فى قلوب الناس الفزعين، وبعد أن فرض على كل فرض من أهالى الأنبار خراجا دينارا توجه نحو الأراضى الحجازية المباركة بنية الاعتداء على مكة المكرمة، وهجم على المسجد الحرام وداس بقدميه المشئومتين حرم المسجد الحرام توأم الجنة كما سبق ذكره، وقتل ثلاثين ألفا من الأبرياء، وأكثرهم ملتفون بملابس الإحرام وبعضهم فى داخل كعبة الله، وبعد أن هدم مبانى ذلك البلد الغالية وخربها اقتلع الحجر الأسود وعاد إلى بلدة هجر فى سنة ٣١٧هـ.

وقد دامت نار شرور القرامطة مندلعة تتأجج من سنة٣٠١هـ إلى سنة ٣٧٣ هـ وفى رأى إلى عام ٣٨٤. استطاع فيها القرامطة إغواء كثير من الناس، وأدخلوهم فى زمرتهم ومذهبهم، وأغار هؤلاء على البلاد وقتلوا ونهبوا وهدموا، إذ خربوا الكوفة سنة ٢٧٨، والبحرين سنة ٢٨٦، والشام سنة ٢٨٩، ودمشق ٢٩٠، والشام مرة ثانية سنة ٢٩٣، والبصرة سنة ٣٠٧ هـ، والكوفة سنة ٣١٣، الأنبار سنة ٣١٥، وبعد ذلك بعام الرحبة والرقة والهيط، ومكة المعظمة سنة ٣١٧، ودمشق مرة ثانية سنة ٣٦٠ هـ، وهجموا على هذه البلاد وقتلوا سكانها وخربوا منازلها وأخلوا بنظام الأمن فى تلك البلاد.

واستأصلوا حجاج قوافل العراق فى السنين ٢٩٤ و٣١٢ و٣٥٥[١] و٣٦١[٢]، كما أنهم أغلقوا طريق بيت الله العتيق طريق الفيض والنور فى السنين ٣١٤ و٣٥٦ و٣٦٣ و٣٨٤، ووصلوا إلى الذروة فى فن الإجرام إذ منعوا أداء فريضة الحج مدة تسع سنوات لعنهم الله.

كيفية ظهور طائفة القرامطة

يروى المؤرخون على اختلاف آرائهم أن ظهور القرامطة كان فى عهد الرشيد أو المأمون، ولم يظهروا إلا بعد أن تشكل كيانهم، وكانوا قبل ذلك يفسدون

(١) وفى سنة ٣٦١ اتفق عربان بنى هلال مع القرامطة.

(٢) اتفق فى هذه السنة عربان بنى سليم مع القرامطة وأغاروا على قوافل مصر وقوافل الشام.

عقول البلهاء والحمقى وأهل الغفلة بضلالهم فى الخفاء، ثم وسعوا نطاق دعوتهم شيئا فشيئا.

وقد تضاربت الأقوال بعض الشىء فى أسباب ظهور القرامطة ومكان ظهورهم، وكيفية ظهورهم، كما وقع الخلاف فى تعيين وتحديد مبادئهم، وفى هذا أدلى كل واحد برأيه وقال قولته، وها هى ذى طائفة من المؤرخين الذين كدوا أذهانهم وأتعبوا أنفسهم يقولون: «إن أول من لوث الساحة من القرامطة كان رجلاً ادعى النبوة، واتخذ لنفسه كتابا زعم أنه من الكتب السماوية محاولا أن يصدقه الناس».

وقال بعض المؤرخين: «إن أول من أعلن وجوده من ملاعين القرامطة شخص ادعى هذا الشخص أنه من الأئمة الإسماعيلية، وأنه مرسل من قبل الإمام المهدى، وأراد أن يقنع الناس بما يدعيه».

ويهذه الرواية أو تلك يستبين لنا أن المذهب الذى نشره القرامطة وأشاعوه مذهب باطل، وأنه عبارة عن توصية للعمل بمبادئ الكفر والضلالة والإلحاد والإباحية، ولكننا لما رأينا أن الرواية الثانية أقوى دليلا وأمتن رواية رأينا أن نكتفى ببيانها.

سبب تسمية القرامطة بهذا الاسم

على نحو ما اختلف المؤرخون فى نشأة القرامطة وكان اختلافهم فى أصل تسميتهم، ففى بعض الروايات أن سبب تسميتهم بالقرامطة يرجع إلى من يسمى بأبى سعيد الجنابى القرمط، ذلك الملحد الذى سلك بهم سبل الضلال، وكان قصير القامة لا يدين بدين وكان يقارب بين قدميه فى السير، فسمى الذين اقتفوا أثره من الرفض والإلحاد والإباحة بقرامطة.

وفى رواية أخرى: كان رئيس هذه الطائفة قميئا كريه الخلقة، وكان يتجول من قرية إلى قرية لنشر دعوته، ولما بلغ قرية من قرى الكوفة اشتد به المرض فنزل بدار من يسمى «كرميتة» ومعناه ذو عيون حمراء، وراح فى سبات، ولما استيقظ وقام على رجله من مرضه سمى باسم صاحب الدار، ونودى بشيخ الكرامته وبعد ذلك خففت لفظة «كرميته» وعربت فصارت قرامطة.

وفى رواية ثالثة: أن عظيما من هذه الطائفة كان يكتب خطا دقيقا متقارب السطور، واشتهر بذلك أى كان مقرمط الخط، فسميت الطائفة المذكورة بالنسبة له قرمطى.

مذهب القرامطة وطقوسهم

وإن كانت طائفة القرامطة الملاحدة الخبيثة يعترفون بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ـ رضى الله عنه ـ وأعلنوا فى الظاهر انتماءهم لمذهب الإسماعيلية، ولكنهم فى الباطن كانوا يحلون المحرمات، ويسفكون دماء المسلمين، كما أنهم كفروا من ليس على مذهبهم، ومن كلمات الكفر التى تنسب إليهم قولهم: لما كان المنى أطهر من البول فلماذا يجب الغسل بعده ولا يجب بعد التبول؟

إن أداء الفرائض الخمس عندهم طاعة أئمتهم المعصومين، وإطاعة أوامر الذين يمنعون وينهون عن طريق الإلحاد والكفر والإباحة من غيرهم بعد البحث عنهم، والزكاة عندهم إعطاء الإمام خمس المال وفى رواية أخرى تزكية النفس بالتفوه بكلمات الإلحاد، «والصوم» عندهم حفظ أسرار المذهب وكتمها، والزنا عندهم إفشاء أسرار المذهب بدون مقابل، ومع هذا يدعون أنهم يقتدون بالملائكة ويخالفون الشياطين.

ويكنون بالوضوء عن محبة الإمام ومصاحبته، والاحتلام هو كشف الأسرار لمن ليس لها أهل، والكعبة والصفا كناية عن النبى، والمروة كناية عن باب على، والتلبية كناية عن إجادة المخاطب، والطواف كناية عن حب الأئمة كذلك، والجنة كناية عن الاستراحة من التكاليف الشرعية، والجهل كناية عن اختيار مشقة التكاليف الشرعية، يطلقون على حدة الذين ينسلخون عن الدين كليا «الخلع»، والخروج عن الدين «السلخ» والذين يصلون لهذه المرتبة يباح لهم جميع المحرمات، ولا شك فى أنهم يعترفون بالكفر والإلحاد.

ومن جملة معتقداتهم الباطلة استحلال شرب الخمر، وعدم الاغتسال بعد الجنابة، وحصر الصوم فى اليومين (فى يوم المهرجان والنوروز)، واعتبار الحج

إلى القدس فرضا، وإضافة قولهم (أشهد أن محمد بن الحنفية رسول الله). كل هذه من جملة اعتقاداتهم الباطلة.

وبناء على ما جاء فى تاريخ نظام الملك بالتفصيل: إن طائفة القرامطة الحقيرة أينما ظهروا وأينما امتدت نار شقاوتهم وأينما حلوا فى الآفاق ظهروا بأسماء مختلفة، فمثلا عرفوا فى حلب ومصر بـ« السبعية» وظهروا فى بغداد وما وراء النهر باسم «قرمطى»، وظهروا حول الكوفة باسم «مباركى» واستولوا على البصرة باسم «روندى، برقعى» وعلى الشام باسم «المبيضة» وذكروا باسم «سعيدى» عندما هجموا على أرض المغرب، والجنابى فى الإحساء والبحرين.

وفى أصفهان «الباطنية»، وأسماء «حرمية، بابكية ومحمرية» من الأسماء الخاصة بتلك الطائفة، وسبب تسميتهم بالحرمية لأنهم أحلوا المحرمات، و«بابكية» لأنهم اتبعوا أحد الخارجين الذى يسمى «بابك»، و«المحمرية» لأنهم ارتدوا ملابس حمراء فترة حينما اتبعوا «بابك».

والسبب فى عد القرامطة أنفسهم من الطائفة الإسماعيلية هو لعين اسمه «عبد الله بن ميمون» الذى كان من قرناء عبد الإمام محمد بن إسماعيل، والدنئ كان يسمى مبارك، وكان الإمام المذكور قد زار بغداد فى أيام هارون الرشيد.

وبعد ما مات الإمام محمد بن إسماعيل، أخذ عبده مبارك يتجول هنا وهناك حزينًا مغمومًا، ويسكب الدموع حيثما حل، وكان مبارك هذا حريصًا على أن يكتب بخط باربك فعرف بين أقرانه بقرمطى. وعرض عبد الله بن ميمون ـ سالف الذكر والذى كان من أفراد قبيلة أهواز ـ صداقته على مبارك، واستطاع أن يكسب ثقته بإظهار الصلاح والزهد ولازمه، بالتدريج استطاع أن يقنعه بأقواله.

وقال له يوما: «يا مبارك إن ولى نعمتك وسبب جاهك هو الإمام محمد بن إسماعيل كان صديقى الذى يطلعنى على جميع أسراره، ويطلع على جميع أحوالى، وكم أطلعنى فى حياته على كثير من الأسرار، وكم من علوم لقننى، هذا ما لا تعرفه أنت، ولا من كان متصلا به» وانخذع مبارك بأقوال عبد الله وصدقه، وطلب منه أن يعلمه تلك الأسرار والعلوم فعلمه حروفا معجمة،

وكلمات غير مسموعة وكلمات من أقوال الفلاسفة والأئمة، فمضى مبارك إلى الكوفة وعبدالله إلى كوهستان وأطراف العراق حيث أخذا ينشران طقوس الإباحة[1].

صورة ترتيب الفقهاء

يختار مجلس الشورى الذى ينعقد تحت رياسة شريف مكة عبد الله باشا الفقهاء الذين سيتم تعيينهم وإرسالهم إلى القرى، وفى هذا المجلس يوجد أشخاص يعلمون أحوال الولاة ووجهاء البلدة و السادات الأشراف وقبائل العربان.

هيئة الشورى:

بعد تحديد عدد القرى التى تحتاج إلى تعيين الفقهاء يتم انتخاب الفقهاء ويحول أمرهم إلى رأى رئيس العلماء ويقوم المشار إليه هو والهيئة التى معه بكتابة أسماء الفقهاء و انتخابهم ويقدمهم إلى الهيئة المحترمة.

ولو توفى أو استقال أحد الفقهاء الذين تم تعيينهم يتم تعيين فقيه آخر محله بواسطة رئيس العلماء أى أن تعيين فقيه آخر يتم بعد صدور الأمر من أمراء الولاية الجليلة وهيئة الشورى ولقد ذكر فى الجداول التالية أسماء الفقهاء الذين تم تعيينهم عام ١٢٨٥.

وهذا الجدول يوضح اسم القرى التى عين فيها الفقهاء والقبائل التى تسكن فى هذه القرى.

جدول الفقهاء

أسماء الفقهاء	أسماء القرى	أسماء القبائل	ملحوظـــة
الشيخ عبد الرحيم باقيس	دار الغربة		من هذه الثلاث عشرة فى الجهة التى تقع فى ناحية مكة المكرمة من الطائف وعلى ثلاث ساعات منها وعلى سفح الجبل الذى يقال له جبل الفرا والذى يبعد عن مكة المكرمة خمس عشرة ساعة وعلى ظهر هذا الجبل موقع يسمى هدا والقرى المذكورة فى أطراف هذا الموقع وفى القرية التى تعرف بـ«دار البيضاء» مسجد أثرى.

[1] لمزيد من المعرفة انظر: العصر العباسى الثاني، للدكتور شوقى ضيف ص ٣٣ - ٤٢ (سلسلة تاريخ الأدبى العربى ٤).

الشيخ أحمد بن قاسم	مصر وحوله		
الشيخ مهدى اليمانى	الكمل النبى		
الشيخ عبد القادر المغربى	الخضرة		
الشيخ محمد مكى	دار البيضاء		
الشيخ محمد بن طالب	ملتوى		
الشيخ حمد المغربى	مبيريز		
الشيخ أحمد باوزير	مملكة		
الشيخ فخرى الصخرى	بنى صخرة	قريش	
الشيخ صالح باقيس	أعمق		
الشيخ محمد باعماد	غديرين		
الشيخ صالح السيفانى	شرقة	بنى خديله	
الشيخ عبد القادر باقيس	خليصة	خديلة	
الشيخ على المغربى	شريف		
الشيخ إبراهيم المغربى	قده		تقع هذه القرى فى جهات الشرق والشمال وعلى بعد ساعة أو ساعتين من الطائف.
الشيخ حامد المغربى	صفاء صد عين		
الشيخ محمد بن المهدى	غنامين نحاتين		
الشيخ عبد الرحمن الفقية	بلاد بن شريان		
الشيخ إبراهيم البكرى	عرج	عتيبة	
الشيخ أحمد العبادى	شرب		
الشيخ عبد الحفيظ الريدى	عيلا		
الشيخ سفر بن سفر	جليل		
الشيخ محمود بن سالم المشولى	نخب		
الشيخ سعيد بن ناصر	مليسة	ثقيف قرآن	
الشيخ على بن قنا	سويد		
الشيخ قامد اليمانى			
الشيخ محمود المنصورى	مسجد الهادى		المسجد الهادى(١) ومثناه ووهط على بعد نصف ساعة من الطائف وفى مكان كثير المياه والبساتين وأهل الطائف يخرجون إليهما متنزهين. وهذه القرى تقع فى جهة الجنوب من الطائف وعلى بعد ساعتين أو ساعة منها. وبين قرية ال مقبل وقرية عبلة تمتد عشر قرى وتقع جهة الغرب بعد أربع أو خمس ساعات من الطائف ولها شهرة واسعة بالعقارب والحيات وقريتا زيما وسولة اللتين مسكنهما قبائل قريش.

(١) لما كان بانى هذا المسجد شخص يقال له هادى فالقرية معروفة باسمه.
وسيدنا عكرمة الصحابى ـ رضوان الله عليه ـ مدفون فيها.

			أول مرحلة بيات للمسافرين من مكة إلى الطائف والقرى الأخرى واقعة بجانب وادى فاطمة.
الشيخ عبد العاطى أبو حربة	مثناه	بنى ثقيف	
الشيخ سعيد بن على المخاوى	وهط		
الشيخ محمد بخروس	قلمة		
الشيخ عبد الواحد الحديدى	زوران	عتيبة	
الشيخ صالح بن سعيد	بسل		
الشيخ عبد اللطيف الحديدى	كلاخ		
الشيخ على بن محسن اليمان	دار الغنم	بنى ثقيف	
الشيخ نخيل الشمالى	صخيرة		
الشيخ سيف الدين اليمانى	بنى سالم	بنى سفيان	
الشيخ صالح بن عبيل	آل مقبل ، آل زايد	آل زايد	
الشيخ عيسى بن موسى	آل طول	شمالة	
الشيخ سالم بن عوض	آل ساعد	آل خديعة	
الشيخ غالب بن قارع	آل حجة		
الشيخ محمد رحيم	آل مساعد		
الشيخ على بن عمر المعامدى	آل عايشة		
الشيخ صالح بن سميح	بجيدى بنى عمر طلحات آل خالد		
الشيخ خالد اليمانى	زيما	عتيبة	إن معظم قرى قريش هذه جار ماؤها كثيرة منابت نخيلها بها أشجار الليمون والنارنج ومن ثم يخرج إليها أهل مكة للتنزه ولاسيما إلى تنسم طيب نسيمها وتتفاوت هذه القرى والقرى الأخرى فى حجمها ومدى استبحار عمرانها. فمنها ما يشمل ثلاثة أو خمسة أو عشرة منازل ومنها ما يضم أربعين أو خمسين منزلا وإن كان عدد سكانها وعمرانها فى تزايد وأكبر هذه القرى قرى: الدار البيضاء، ووادى فاطمة والحسينية وهق وأجواؤها أطيب من جوزيما وسولة ومضيق حسين، وشنابره فى السعدية والقرى التى تسمى شنابرة تلك تعد مقرا للأشراف والسادات.

الشيخ صالح بن جمال	سولة	فى وادى هرامز	
الشيخ عباد بن صالح	كضيق		
الشيخ محمد بن أحمد موسى	حدا		
الشيخ أحمد العباس	هدا		
الشيخ عبد الرحمن الزبيدى	بلاد بنى	عند بنى ربيع	
الشيخ بشرى الحيرتى	عمر		
الشيخ زين العابدين جمال	عمر		
الشيخ صالح بن شعيب	برابر محمية		
الشيخ وهق بن رشيدان	حراجل	فى السعدية	
الشيخ أحمد الكليبى	الفرع		
الشيخ صديق بن عبد القادر	أبو شعيب		
الشيخ عبد الله باسميح	حميد		
الشيخ إبراهيم حسينية	الخادم		
	هنابرة		

الأثر الرابع عشر: باب الجرير

ويسمى كذلك (باب القفص) وهو الباب العالى المسمى باب النبى، وهو مكان يستجاب فيه الدعاء على حد قول أبى سهيل النيسابورى.

ولا يعرف الوقت الذى ينبغى فيه الدعاء فى هذا الموضع، ويقول الصالحون من الأسلاف: كلما سنحت الفرصة اذهب وادع بجواره.

الأثر الخامس عشر: بيت خديجة الكبرى السعيد

وهو فى سوق الصاغة الذى كان يطلق عليه زقاق الحجر، وكان يسمى زقاق العطار قديماً، وكان دار خلوة رسول الله ﷺ.

وحين الهجرة النبوية وهب لعقيل بن أبى طالب رضى الله عنه، وبعد ذلك أخذه معاوية ووسعه وحوله إلى مسجد، وفتح له بابا يؤدى إلى منزل أبيه أبى سفيان.

بيت أبى سفيان ذاك صار مستشفى للغرباء فى عصر السلطان عبد الحميد. وقد حول بيت زوج الرسول خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ إلى مسجد

باسمها، وقد رممه الملك المظفر اليمانى والناصر العباسى وملوك الشراكسة المصرية، وملوك اليمن على هيئته القديمة.

وفى عام ٩٣٥ هـ عصر سليمان بن سليم عصر البر والإحسان رمم على هيئته القديمة، وأقيم عليه قبة عظيمة، وبنى فى داخله محرابان وفى سنة ١٠٤٣ جدد ما يستحق تجديده.

وكان داخل القبة التى أقامها السلطان سليمان فى سنة ٩٥٣هـ (١٤٤) قدما مربعا، وكانت كل جهة من جهاتها الأربع اثنى عشر قدما.

وولدت سيدة النساء فاطمة الزهراء (رضى الله عنها) فى الحجرة المنيرة التى تقع فى الجهة اليمنى من الدار السعيدة. ولأن مولد السيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ كان فى تلك الحجرة المنيرة المتصلة بالجهة اليمنى من هذا البيت المسعود، فقد عين موضع مولدها فى وسط هذه الحجرة بحجر أبيض مستدير ناقص الشكل، ووضع فى كوخ مكتس بالخضرة.

إنه موضع مبارك تحت قبتين جميلتين فى تلك الحجرة العريقة، وطول هذا الموضع من الشمال إلى الجنوب ثمانية أقدام، ومن الشرق إلى الغرب خمسة عشر قدما. وقد حمى الكوخ الذى بنى لمشاهدة الموضع المنير الذى ولدت فيه السيدة فاطمة بما يقرب من ٣٥٧ عام، وذلك بفضل الإصلاحات والترميمات الجزئية التى كانت تجرى من آن لآخر، وبالرغم من ذلك تخربت تلك الترميمات، وبات من اللازم هدمها كلها، حتى أن جدران بيت خديجة ـ رضى الله عنها ـ أصبحت محتاجة إلى الترميم والإصلاح، وفى عام ١٢٩٦ حول أحمد أفندى مدير المسجد الحرام الكوخ المذكور إلى شبكة مصنوع من خشب الساج، وأصلح ما مست الحاجة فيه إلى الإصلاح من جدرانه المسقوفة، ووضع صندوقا فوق الحجر الأبيض الذى يشير إلى موضع مولدها، وغطاء يستر المكان من الحرير المزركش.

وأمام الكوخ المذكور جدار باهر الأنوار يرتفع بمقدار ذراع، ويتصل بهذا الجدار من جهة الجنوب بصفة، يعلو هذه الصفة حجر مدور يميل لونه إلى السواد، يقول بعض أهالى مكة المكرمة أن هذا الحجر هو الرحى التى كانت السيدة خديجة تطحن بها القمح.

ويتصل بالجدار الشمالى للمسجد الشريف حجرة مقدسة كذلك، ولما بات من المعلوم ـ من خلال آثار موثوقة الدلالة ـ أن هذه الحجرة كانت خاصة بعبادات النبى ﷺ وطاعاته، أشير إلى موضع سجوده ﷺ بحجر من الماس مسدس الشكل قطره كقطر إصبع اليد، ووضع هذا الحجر وسط المحراب.

الأثر السادس عشر: مولد النبى

بيت يقع فى الجهة الشرقية لمكة المكرمة وفى شارع شعب أبى طالب الذى يسمى الآن: شعب بنى هاشم وزقاق المولد.

وهى دار ميمونة تقع فى سوق الليل وكانت تُعْرَفُ فى عصر النبوة بـ «دار التبابعة». ومن العادات القديمة أن يخرج العلماء والأعيان الكرام من المسجد ويذهبون إلى الدار المذكورة موقدين المشاعل والقناديل، وبعد إقامة مراسم الطاعة والعبادة يعودون إلى حرم كعبة الله.

ومن العادات المتفرعة من الحفاوة بمولد النبى أن يقوم الناس بعد عودتهم من دار مولد النبى بالوقوف خلف المقام الشافعى وأمامهم الشخص الذى يتولى رياسة الروم بالدعاء للسلطان، وبعد أن يلبس بعض كبار الحاضرين الخلع حسب قواعد المراسم يصلون صلاة العشاء ثم يعودون إلى منازلهم.

ولم تكن هذه العادة قائمة إلى عهد السلطان مصطفى خان الثانى ابن السلطان محمد الرابع ولم تكن تلك الاجتماعات تنعقد فيه، فلما أراد السلطان المذكور أن يستزيد من الغفران وأن ينال الشفاعة النبوية قام باستحداث هذه الاجتماعات

واتخذها عادة ميمونة، لأجل ذلك ينعقد فى مكة المكرمة فى الليلة السابعة عشرة فى رمضان اجتماعات عظيمة بغية تعظيم بعثة نبى آخر الزمان ﷺ، كما تجتمع جماعات كثيرة فى الليلة الثانية عشرة من ربيع الأول للاحتفال بمولد رسول الله ﷺ، فى المدينة المنورة وفقا لرغبة السلطان.

ولعقد هذين المجلسين أمر السلطان بمنح ٣٣٠٠ قرش سنويا من ريع مقاطعة مصر للإنفاق على إقامة ذلك الاحتفال. وقد صدر ذلك الأمر السلطانى فى سنة ١١١٣هـ، واستمر إجراء ذلك الحفل الميمون والاحتفالات السنية فترة ما، والآن تجرى الاجتماعات فى ليالى الثانية عشرة من ربيع الأول لسبب ما.

ومازالت نفقات هذين الاجتماعين ترسل من الخزانة المصرية إلى يومنا هذا ومازالت الاحتفالات تجرى وفق ما ذكرنا آنفا.

وقد ذكرنا فى المقال الثالث من الفصل الحادى عشر من مرآة المدينة كيفية الاحتفالات بالمولد النبوى السعيد.

وكانت العادة المرعية بين أهالى مكة المكرمة فى ليالى رمضان أن يقرأوا القرآن الكريم فى صلاة التراويح. وكان الإمام الحنبلى يختم القرآن فى الليلة الحادية والعشرين من رمضان، وفى الليلة الخامسة والعشرين الإمام الشافعى، وفى الليلة السابعة والعشرين الإمام الحنفى، وفى الليلة التاسعة والعشرين الإمام المالكى فيختمون القرآن بعد تمام قراءته.

وكان أتباع الإمام الذى سيختم القرآن يزينون المسجد الحرام بمصابيح وقناديل وفوانيس مختلفة، ومازالت هذه العادة قائمة ولكنها لا تنحصر فى أئمة المذاهب الأربعة .لأن الذين يريدون أن يختموا القرآن يتفقون فيما بينهم ويصلون فى جماعة منفصلة، ومع هذا تعقد مجالس عظيمة فى ليلة ختم القرآن الكريم.

وفيما مضى كانت تعقد المجالس فى ليلة ٢٧ من رمضان فى الجهة الشرقية

للحرم الشريف وأمام المحكمة الشرعية، ويقرأ دعاء ختم القرآن وعقبه يوزع على الحاضرين الكرماء الشراب الحلو ثم يتجهون إلى البيت المعظم حيث يدعون الله، ويحضر هذا المجلس الأشراف العظام والسادات الكرام والعلماء الأعلام، ويوزع نائب الحرم الشريف حلو الشراب، وفى أثناء الدعاء يظل باب الكعبة مفتوحا، ومازال هذا المجلس المشكور يجتمعون إلى الآن، كما سبق ذكره ومازالت تلك الإجراءات مرعية الجانب.

الأثر السابع عشر: سوق الليل

إنه مكان فى غاية اليمن والبركة لأن مولد النبى، والدار التى ولد فيها على كرم الله وجهه، ودار الصديق الأكبر فى هذه السوق وفى كل جهاتها آثار مباركة ظاهرة.

إن عينيك تنبت جنة من سوق المال ورافع الشوك من طريقه يعجب بالورد
تطلع الشمس التى تنير الدنيا منه كما امتلأت منه روضة الرضوان
ومن عجب أن هذا أصبح مقاما ومنزل قرص الشمس والبدر
إن منزل الزهرة فى هذا الشعب وهو على بعد قدم أو قدمين من الصديق
إن المشترى والشمس والقمر اقترن بعضها ببعضها الآخر
فهذه المحلة كلها مرتفعات ومنخفضات وفيها يهادى سرو الدلال

«فتوح الحرمين».

الأثر الثامن عشر: دار الخيزران

كان يعرف هذا المكان عند الأوائل من المسلمين بدار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى.

إن هذه الدار النيرة تقع فى الجهة الشرقية من جبل الصفا فى اتصال دار بنى شيبة وفى زقاق ضيق. إن هذا الموقع أفضل من كل الأماكن وأقدسها فى مكة المكرمة ما عدا دار أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها.

دار الأرقم:

هذا المكان المقدس هو المكان الذى كان يجتمع فيه النبى ﷺ مع تسع وثلاثين من صحابته خفية، قد تشرف عمر بن الخطاب باعتناق الإسلام فى داخل هذه الدار، واكتمل به عدد الصحابة أربعين صحابيا.

وانتقلت تلك الدار إلى ملكية والدة هارون الرشيد الخيزران[1] وقد اشترتها ولشدة تعلقها وحبها لهذه الدار اشترت الدور المجاورة لها وألحقتها بهذه الدار.

وانتقلت الدار بعد ذلك من يد إلى أخرى حتى وصلت إلى أشراف بنى حسن، وفى نهاية الأمر انتقلت إلى ملكية دفتردار مصر القاهرة إبراهيم بك، فأهداها إلى السلطان سليم خان الثانى عليه رحمة الله فجددها نجل ذلك السلطان وهو السلطان مراد خان الثالث على شكل مسجد فى سنة ٩٩٩هـ.

وحينما أراد أن يجدد ذلك المسجد مصطفى جاويش الذى كان يشغل منصب أمانة البناء وكان أمين بناء جدة، قد استدعى إلى باب السعادة، وبهذا لم يستطع أن يأخذ دور الكبراء التى تحيط بالمسجد، ولو لم يعزل لفترة ما من منصبه كان سيجدد مسجد دار الخيزران فى هيئة أجمل وشكل أحسن. إن عرصة مسجد دار الأرقم فى جهاتها الثلاث أربعة عشر قدما إلا الجدار الشرقى أربعة وعشرون قدما. وله أربع قباب جميلة وله ساحة مكشوفة وله مئذنة.

صخرة المحتبى:

مكان فى داخل المسجد وعلى يمين من يتوجهون إلى المحراب، وإلى الآن مرئى وظاهر.

(١)خزيران أو خيزران بانية مسجد دار الأرقم كانت جارية المهدى المفضلة وقد أعتقها سنة ١٥٩هـ.

ومُنْتَهَى هذه الصخرة كان مكانا خاصا للنبى ﷺ، عند جلوسه وحوله تسعة وثلاثون من أصحابه الكرام عندما كان يدعو إلى الإسلام خفية، من الروايات الموثوقة أنه كان يمضى أوقاتًا تحت هذه الصخرة.

الأثر التاسع عشر: الحجر المتكلم

يقع فى جدار دكان أبى بكر وفى الجهة التى تواجه الحرم الشريف وقد وضع فى مكان يعلو عن الأرض مترا. وطول الحجر المتكلم ذراع معمارى، وقطره ثمانية أصابع، وهو نصف إسطوانى الشكل وبارز عن الجدار بمقدار ستة أصابع.

وروى عن النبى ﷺ قوله: «إننى أعرف حجرا كان يلقى على السلام قبل البعثة فى المجئ والذهاب». ويظن أن ذلك الحجر هو المقصود به وكتب عليه البيتين الآتيين:

أنا الحجر المسلم كل حين
على خير الورى فلى البشارة
ونلت فضيلة من ذى المعانى
خصصت بها وأنى من الحجارة

قد ترك ذلك الحجر مكشوفا إلى ولاية الحاج عزت باشا الأرزنجانى الأخيرة وقد حفظه الباشا المذكور فى ولايته الأخيرة بأن غطاه بقفص حديدى وكتب كيفية عمله على حجر آخر ووضعه فوقه.

الأثر العشرون: حجر المتكأ

يقع أمام الحجر المتكلم وفى صف دار خديجة الكبرى وعلى صفحة هذا الحجر أثر لطيف، ويقال أنه أثر مرفق النبى ﷺ إذ شرف النبى ﷺ دكان أبى بكر فى يوم من الأيام واستند على ذلك الحجر وعندما التفت لأبى بكر قائلا: يا

أبا بكر انطبع أثر مرفقى على ذلك الحجر. كان حجر المتكأ قديما على جدار بيت أبى بكر ثم انتزعوه منه ووضعوه فى المكان الحالى.

كان المكان الذى وضع فيه من جدران بيت مصطفى أفندى الحريرى، واحترق هذا المنزل فى أوائل سنة ١٣٠٠هـ والحجاج فى عرفات؛ إلا أن الحجر المذكور لم يصب بسوء، وقد حفظ بأن وضع فى إطار له غطاء خشبى وعمر تلك الدار.

الأثر الحادى والعشرون: دار العباس

تقع دار العباس فى شارع المسعى وبالقرب من الميلين الأخضرين وأمام باب العباس، والآن أصبحت رباط الفقراء والمساكين والغرباء.

الأثر الثانى والعشرون: رباط الموفق[1]

يقع فى زقاق المقرارية وشارعه، وقد اشتراه فى سنة ٦٠٤هـ القاضى الموفق جمال الدين على بن عبد الوهاب السكندرى وعمره ووَقَفَه. إذا ما دعى فى داخله أو أمام بابه يستجاب.

قال الشيخ عبد الله بن مطرف من مشاهير أولياء الله: كلما وضعت يدى على حلقات باب رباط الموفق أحس كأن كثيرا من أيادى أهل الله توضع فيه، ويسكن الفقراء ومساكين الممالك المغربية فى ذلك الرباط ويقيمون فيه. وبما أن كثيرا من أهل الله مازالوا يذهبون إليه لغرض الزيارة فلا يخلو ذلك المكان من ملازمة الأولياء ومرورهم.

الأثر الثالث والعشرون: مِنى

تقع «منى» فى الجانب الشرقى من مكة المكرمة بين غار المرسلات وهذا المكان المقدس مكان جميل المنظر وصحراء تثير الشوق، وطوله ٣٠٥ ذراعا، يبدأ من جمرة العقبة وينتهى فى الجمرة الثالثة، ويبعد عن مكة المعظمة أربعة أميال. ومنى

(١) والآن يسمى رباط عثمان.

مدينة تميل إلى الكبر وتتزين جوانبها بدكاكين كبيرة ومنازل عالية ويحد نهايتها مسجد الخيف، إلا أن عمرانها يتوقف على موسم الحج، ففى غير موسم الحج تخلو المدينة من الناس، ويستأجر الحجاج فى منى منازل بعد عودتهم من عرفات، ويتاجرون مع التجار الذين وفدوا من الشام وحلب.

وإن كتب أن وقت الدعاء فى منى محدد فى منتصف الشهور القمرية وليلة ما يستدير الهلال بدرًا، ولكن بما أن المكان غير معمور فى كل الأوقات فليدع الداعى متى يمكنه الدعاء فيه.

ومنى هى المكان الذى يرسل بواسطته أمانة الصرة إلى الشريف الهاشمى النسب علنًا.

وإننا أدرجنا صورة من الأمر السلطانى الذى أرسل إلى ذات السيادة الشريف عون الرفيق باشا فى سنة ١٣٠١هـ متيمنا.

صورة الخط السلطانى

الحمد لله الذى جعل سرة البطحاء صدف درة البيضاء، وحلى بها أجياد عرائس المصنوعات، من الثرى إلى سدرة المنتهى، وصير أم القرى محتد نبيه المجتبى وصفيه المرتضى، وأوحى إلى خليه إبراهيم أن يرفع القواعد من البيت، وأمرنا أن نتخذ من مقامه مصلى، وتوجهت الوفود المتوشحة بوشاح الهدى، ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتلبية، وقصدوا نحو منى، فطوبى لمن سعى بين الصفا والمروة، وصلى بمقام إبراهيم بخضوع القلب، وانتهج نهج القربى والزلفى، وبيض وجهه باستلام الحجر الأسود متلألئًا كسناء ذكاء[1].

والصلاة والسلام على من بعث رحمة للورى، وصارت زيارة قبره من أرقى مدارج السعادة فى الدنيا والعقبى، وعلى آله وصحبه الطيبين الذين طهروا الكعبة العليا من أدناس الأوثان، وأحكموا بنيان الشريعة المصطفوية بإقامة أحكام القرآن ما ناحت الحمائم بتسبيح الله تعالى وتقديسه جل وعلا. . . .

(١) ذُكَاء: الشمس.

أما بعد فهذا خطابنا الشريف الخاقانى وكتابنا المنيف السلطانى النافذ حكمه بعناية الله المعين فى أقطار الأرضين، مطاعا لأساطين الملوك والسلاطين، لازال ناشرا فوايح العدل والأمان وما برح زاهرا بين حدائق البر والإحسان وما سجعت الطيور ورتعت الغزلان، أصدرناه منطويًا على فرائد التحيات الرائقة، ومحتويًا على قلائد التسليمات الفائقة، مظهرا عَرْفَ رياحين المحبة والاستئناس، وممهدا لمبانى المودة المحفوظة عن الإندراس، إلى جانب الأمير الأمجد الأوحد المقتفى آثار أسلاف الأشراف من آبائه الغر صناديد آل عبد مناف وأجداده الحميدى السير الجميلى الأوصاف، فرع الشجرة الزكية النبوية، طراز العصبة العلوية المصطفوية، المنتمى إلى أشرف جرثومة علا عنصرها، والمنتسب إلى أنفس أرومة غلا جوهرها، زبدة سلالة الزهراء البتول، عمدة آل بيت الرسول، المحفوف بصنوف عواطف الملك الصمد، من أفاخم وكلاء دولتنا وأعاظم وزراء سلطنتنا السنية، الحامل النيشان المرصع بالعثمانية والمجيدية، أمير مكة المكرمة الشريف (عون الرفيق باشا)، لازالت العناية الربانية له ملاحظة، والكلاءة الصمدانية عليه حافظة، ننهى إلى نادى الشريف أن الله جل شأنه وعز برهانه، اصطفانا من بين عباده خلفاء للأنام، وأعطانا سيف الجهاد، وأمرنا بتأسيس ركن الإسلام، وشرفنا على الملوك بسدانة بيت الله الحرام والركن والمقام، وزين منشور سلطنتنا بخدمة روضة نبينا وشفيعنا عليه أسنى التحية وأزكى السلام.

نحمد الله على ذلك بأتم الشكر وأكمل المحامد. ونُحَلِّى ترائب عرائس هذه النعم من جواهر الأثنية بأغلى القلائد وأنفس الفرائد، فلا جرم وجهنا وجهة النهمة الواسعة ونخبة الهمة الشائعة، لرفع رايات الشكر فوق القمة التاسعة، وصرفنا أزمة صريمتنا الجليلة إلى طريق إيفاء ما وهبنا الله من المواهب الجزيلة، وامتطينا صهوة مطايا الإقدام، فى تنفيذ مصالح الشريعة، جاريا مجارى الجد والاهتمام، لاسيما مهام الأوقاف المشروطة لفقراء الحرمين المحترمين، والأرزاق المعينة المضبوطة للشرفاء شرفهم الله ـ تعالى ـ فى الدارين، وللعباد العاكفين فى المقامين المكرمين، وأرسلنا من شامل عنايتنا على

الرسم القديم فى العام السابق ـ وهو عام ثلاثمائة وألف من هجرة من أسس قواعد الإسلام ـ صبت على ضريحه سجال التحية والسلام ـ كافة الأموال المحصلة من ريع الأوقاف الموقوفة المربوطة، والنقود المعروفة والوظائف المضبوطة التى خصصت بلائذى الحرم ويثرب ممن سكن فيهما، واخترنا الجواد من حيثما المشارق والمغارب، وجملتها مثبته وأعدادها مفصلة ومقررة كما هو مسطور ومرقوم فى الدفتر المعلوم والمختوم، جميعها الدنانير التضاد والخدمة الصافية من النقود الرائجة فى عام البلاد الدانية والقاصية، وسلمنا تلك الصرر إثر ما وضع فى الأكياس الموسومة بختمنا الشريف دفعا للالتباس إلى يد حامل ذلك المنشور السلطانى، وناقل هذا المثال الخاقانى، المنتسب لسدتنا السنية، من خدام عتبتنا العلية السلطانية، المأمور لخدمة الحميدية الخاقانية، الحامل نيشان المجيدية من الرتبة الرابعة، أمير الكرام السيد «بسيم باشا» دامت معاليه وعمدة أصحاب التحرير والتقرير، كاتب الدفتر قدوة الأماثل والأقران ـ زيد قدره ـ بعد ما قلدناهما تلك الخدمة الجليلة، وأعطيناهما دفترًا مختوما بختمنا المبارك السلطانى لازال عنوانه زينة على صحيفة مناشير الأمانى، مخبرًا عن المصاريف المعينة، متضمنا بالمواهب المقننة، فأمرناهما بإيصال تلك الصرر إلى خزانة المديرية المأمورة بالسعى مع الاهتمام على جرى الأصول المؤسسة فى سوالف الأيام فى الصرر المقررة، فى مصاريفها المحررة المقدرة، على ما صرح ونص عليه فى الجريدة التى هى فى جيد الأمانة ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا** ﴾ (النساء: ٥٨).

واغتراف من مشارب الأجواد الجزيلة قراح عذبها، ونهلها وتوزيعها إلى مستحقيها من السادات والعلماء والضعفاء ساكنى مكة المكرمة، وقاطنى المدينة المعظمة، المستمسكين بأذيال سرادقات بيت الله الحرام، والمتشرفين بجوار نبينا شفيع الأنام (عليه أفضل الصلاة والسلام).

ورسمنا ألا يفض خاتم أكياس هذه المبرة، ولا توزع على أصحابها إلا بمعرفة المأمورين الذين وجب حضورهم، ولا يستنسخ دفتر مستقل غير هذا الدفتر، بل يعلم على اسم كل من وصل إليه نصيبه بالمداد الأحمر، فإن غاب واحد منهم أو قضى نحبه ولم يوجد مسميات بعض الأسماء يعلم على اسمه بالدفتر حسبما يظهر، وتحفظ حصصهم ونصيبهم مفرزة محرره، كيلا يحتال أحد لأخذ الصرة المقررة، ويؤتى نصيب من توفى أو غاب لأشخاص توافقت أسماءهم وألقابهم ونسبهم، وتشابهت الأسماء والألقاب والنسب والأنساب، هذا وقد أهدينا إلى جنبكم العالى، مغرس شجرة المفاخر والمعانى فى صحبة حامل كتابنا اللطيف وخطابنا المنيف خلعة من تشريفاتنا البهية، وأكسيتنا السنية تجديدا لمراسم الموالاة، وتأكيدا بمعاقدة المصافاة، فلابد من استقبالها بتقديم مراسم الإكرام والتعظيم والتزيين، والاكتساء بها علامة الاحترام والتكريم، وبذل القدرة الكاملة فى رعاية الرعية وصيانة الحجاج والمجاورين والمسافرين والمقيمين من العنت والشقاوة، لإفاضة الأمن والراحة وحراسة تلك الطرق والممالك، واستجلاب الأدعية الصالحة من العلماء العاملين والسادات المهديين، والفقراء الصالحين، والمواظبة على الدعوات بمزيد التضرع والابتهال، لإعلاء أعلام دولتنا العلية، وثبات أركان سلطنتنا السنية، إنه سبحانه لجدير بالسؤال، وقدير على تبليغ الأمال، تعالت ذاته عن المضاهى، وجَلّ جودهُ عن التناهى، وفضله حَسْبُ من بجنابه لاذ، وطَوْلُهُ كفاية من به استعاذ.

وصلى الله على سيدنا محمد الذى تأسست قواعد شريعته البيضاء بأركان المواهب الربانية، ناشرا ظلال سدتها فوق الثرى، واستهل بأرجاز نعوته الملائكة المقربون على العرش سربا فسربا، وعلى آله وعترته الذين فتحوا بسيوفهم البلاد شرقا وغربا، ولمن تبعهم من أمته إلى يوم الدين عجما وعربا، رضوان الله ـ تعالى ـ عليهم أجمعين.

الأثر الرابع والعشرون: الجمرات الثلاث

الجمرات الثلاث التى سبق ذكرها قد عينت بعلامات خاصة فى ثلاثة أماكن من منى.

مسألة:

قال علماء المذهب الحنفى: «عندما تلقى الجمرات عند الجمرة الأولى[1] والجمرة الثانية يعنى عندما يرجم الشيطان الأول والشيطان الثانى ينبغى أن يتوقف قليلا، لأنه لا ينبغى الوقوف عند الجمرة الثالثة، بناء على هذا القرار الذى اتخذه العلماء يُسْتَحَبُّ ألا يوقف عندها للدعاء، بل ويدعى فى أثناء السير لأن الحسن البصرى أوصى أن يدعى فى هذا المكان أيضا؛ لأنه مكان من ضمن الأماكن التى يستجاب فيها الدعاء.

جمرة العقبة:

أنها الجمرة الثالثة وهى بالقرب من قبة الكبش وهى جدى أبيض فى طول خمسة أذرع وذراعين عرضا. وبما أن الشيطان ظهر لحضرة الخليل لأول مرة فى هذا المكان ورجم فلزم رجمه إلى يوم القيامة.

الجمرة الثانية:

يطلق على الجمرة الثانية الجمره الوسطى أيضًا وهى تخمينا على بعد خمسين خطوة من جمرة العقبة، وفى ناحية مسجد الخيف وقد ظهر الشيطان لخليل الرحمن مرة ثانية فرجم، وقد أشير إليها مثل جمرة العقبة بجدار صغير.

(١) ومعنى الجمرة نار ملتهبة، ولها معنى آخر بمعنى حصاة صغيرة، وبهذه المناسبة أطلقت الجمرات على الحصوات الصغيرة التى تلقى فى منى وهو من جملة مناسك الحج.

obeikandl.com

الجمرة الأولى:

الجمرة الأولى على بعد مائة خطوة من الجمرة الثانية، وفى ناحية مسجد الخيف أيضا.

وهو المحل الذى ظهر فيه الشيطان لإبراهيم ـ عليه السلام ـ للمرة الثالثة فرجم، وعين مكانها بجدار صغير مثل الأخريين.

يرمى جميع الحجاج فى هذه الجمرات الثلاث سبع حصوات ويستحسن أن يكون الرامى مترجلا ويجوز إلقاء الجمرات راكبا وكان حضرة معاوية أول من ألقى الجمرات وهو راكب.

رواية ـ يروون حديثا بمعنى «أن من يُقبَل حجُّه تُرفَع جمرته» (حديث شريف) وقد سأل أحد أئمة الحديث ـ ولم يكن قد سمع هذه الرواية ـ سأل سعيد بن جبير «لماذا لم يتكون جبل من كل هذه الحصوات التى ألقيت إلى الآن؟» فرد عليه قائلا: إن كل من يقبل حجه ترفع جمراته بأمر إلهى من قبل الملائكة».

قال الإمام مجاهد «قد علَّمت الجمرات التى ألقيتها فى السنة التى سمعت فيها رد سعيد بن جبير بعلامات معينة، وبعد الحج بحثت عنها فلم أجدها، فصدقت ما قاله سعيد بن جبير وأنه يوافق معنى الحديث.

الاستطراد

يروى لإلقاء هذه الجمرات فضائل كثيرة. يروى مؤلف «نزهة المجالس» نقلا عن كتاب الحقائق الحكاية الآتية: «قال أحد المؤمنين صادق النية مخاطبا السبع جمرات التى فى يده عند إلقائها» أشهد أيتها الجمرات أننى أؤمن بعدم وجود إله آخر غير الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله» وقد حلم هذا الشخص تلك الليلة أن القيامة قد قامت، وعند المحاسبة قد زادت سيئاته عن حسناته فيصدر الأمر الإلهى بأن يساق إلى جهنم، فيؤتى به فى جهنم. ولكن زبانية جهنم يرون أن باب جهنم قد سد بالجمرات التى ألقاها فى منى، فيتحيرون كثيرا ويحاولون أن

يفتحوا الباب فلا يوفقون، ويذهبون، تحت عرش الله ـ سبحانه وتعالى ـ ليعرضوا الحالة، إلا أن الحجارة كانت قد سبقت الزبانية، وحصلت على الأمر الإلهى بإدخال هذا الرجل فى الجنة بعدما غفرت ذنوب الرجل، ويقف كل حجر فى باب من أبواب الجنة ويقول راجيًا: يا فلان أدخل الجنة من الباب الذى أقف فيه» انتهى.

لاحقة

إلى أواسط سنة ١٣٠٣هـ الهجرية عانى الحجاج مشقة كبيرة من قلة المياه فى منى، وكان من جملة فضائل السلطان أن أمر والى الحجاز الحالى عثمان باشا بإقامة صهريج عظيم له ستة عشر صنبورا. ولقد تم ذلك بفضل همة لجنة عين زبيدة وحسن خدماتهم، وهكذا نجى الحجاج من مشقة العطش.

وكنا قد كتبنا معلومات أولية فى الصورة السادسة من الوجهة الثالثة من المرآة أن عثمان باشا قد أنشأ فى أرض المدرسة المجيدية بناءًا فخما مقرا للحكومة للجيش، وحول القلعة الهندية إلى ثكنة عسكرية باسم «غيرتية».

وهدم قسم الشرطة الرئيسى وثكنة المدينة السلطانية وبناهما من جديد.

ومن هذه المرة أخبرت فى رسالة واردة من مكة المكرمة والمؤرخة بتاريخ ١ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٣ أن ذلك المقر الحكومى الفخم قد تم بناؤه، وفرش فرشا جميلا، كما هدمت بعض جهات قلعة جياد، وبنى فى بعض جوانبها مخزن للأسلحة، ووضع فوق المبنى صادة للصواعق، وبدأ فى إنشاء ثكنة عظيمة فى الجانب الآخر.

وقد قسمت أرض عرصة المدرسة السالفة الذكر من قبل والد السلطان الكثير المحامد السلطان عبد المجيد خان ـ طيب الله ثراه ـ وبنى على طرف منها مدرسة، وبجانبها سبيلا ومكتبة وعدة منازل خاصة بأمناء الكتب، وفعلا شرع فى الإنشاءات، ووضعت الأسس وفى هذا الموقف رحل ذلك السلطان عن دنيانا، فأوقفت عمليات البناء وأهملت لتتحول تلك الساحة إلى مقلب قمامة. ولما كان

الجنود السلطانية الذين يتولون حراسة مكة المكرمة يسكنون تحت الخيم، وكان هذا مخالفا لآمال السلطان، لذا انزعج عثمان باشا انزعاجا شديداً وأخذا ضميره يؤنبه، فقرر أن ينشئ فوق أرض تلك المدرسة ثكنة عسكرية تستوعب فرقة من الجند السلطانى.

وبعد الاستئذان شرع فى أواخر سنة ٩٩ المالية فى عمليات الحفر ذاكرا اسم الله، وقد استصوب فيما بعد أن تكون الدائرة الحكومية متصلة بالثكنة المذكورة، وعدلت خريطة الثكنة السلطانية على أن يكون جانب من المبنى مقرا حكوميا، والجانب الآخر من المبنى ثكنة عسكرية، وهكذا بنيت ثكنة عسكرية متقنة الصنع والبناء وسميت بالحميدية.

وبلغت نفقات إنشاء الثكنة الحميدية بناء على التقديرات الأولية ألف وأربعمائة ليرة، وإذا ضمت إليها نفقات إنشاء الدائرة الحكومية ألف وثمانمائة ليرة، عرف أن مجموع النفقات يصل إلى ثلاثة آلاف ومائتى ليرة.

ولكن إذا ما ضم لهذه النقود ما أنفق لتزيين المبانى من الداخل والخارج تزيينا جميلا ومحكما تصل النفقات إلى ما يقرب من مليون قرش.

طرحت فكرة إنشاء ثكنة (الغيرتية) ونفذت فى عهد الشريف غالب، ووسعت فى عهد تاتار عثمان باشا لتسع مائة عسكرى من عساكر الشرطة وبنيت فوق خرابة قلعة صغيرة.

وكان لهذه القلعة أربعة أبراج، وهدمت الأبراج التى فى الجهة الغربية وحولت إلى ثكنة عسكرية يمكن الدفاع عنها، وتتسع لألف من الجنود السلطانية.

وبما أنه تم بناء تلك الثكنة لما سيقوم به هؤلاء الجنود من خدمات جليلة، وبما قدمه أصحاب الحمية والكرام من نقود، وسميت «غيرتية» لذلك، وقد صرف على بنائها مائة وعشرين ألف قرش ماعدا المنح الأخرى.

ثكنة المدفعية السلطانية:

كانت هذه الثكنة مكانا محاطا بأربعة جدران، قد بنى فيه «عنبران» يستوعبان

ما يقرب من مائة جندى من المدفعية، وحجرة للقيادة تسع ثلاثة ضباط ومطبخ، وتم ذلك بهمة عثمان نورى باشا وسعيه واشتراك الجنود فى العمل. قد اشترك الأصحاب الكرام فى بناء هذه الثكنة بما دفعوه من مبالغ قريبًا من ثمانين ألف قرش.

المخفر الرئيسى:

مبنى متين يتسع لإيواء أربعين جنديا، وهناك مخفر غير هذا المخفر فى حارة الباب يتسع لعشرين جنديا أيضا، وهما مبنيان رصينان وقد أنفق لبنائهما مائة ألف قرش كاملة.

وفى سنة سنة ١٣٠٢ الهجرية أمر عثمان باشا نورى الأميرالاى صادق بك الذى حضر مع أمانة الصرة المصرية بأخذ صور فوتوغرافية للأماكن المذكورة، وقد حصلنا على نسخ هذه الصور وأثبتناها فى الأجزاء المناسبة من المرآة.

وقد كتب فى صفحة من المرآة إن مجرى عين زبيدة قد حفر على (حارة الباب) لتجديدها إلى ضريح الشيخ محمود، وبناء صهريج احتياطى فى ذلك المكان، وقد سطر فى هذه الرسالة التى وصلت والتى مر ذكرها أن ذلك المجرى قد أوصلت مياهه إلى ضريح الشيخ محمود، وقد أنشئ أمام الضريح حوض مياه كبير، وركبت فيه الصنابير، وأن وصول مياه عين زبيدة إلى هذا المكان قد أحيا سكان هذه الأماكن، ووسع مدينة مكة المكرمة.

قيل فى صفحة من المرآة «يأتى ويذهب كل سنة ما يقرب من ثلاثمائة ألف أو أربعمائة ألف من الحجاج»

وفى الرسالة الواردة من مكة المكرمة يقول صاحبها: إن عدد الحجاج لم يزد على مائتى ألف حاج حتى فى سنين الحج الأكبر. إلا أنه لم يدخل فى هذا الحساب عربان البادية والمقيمون من أهل مكة، ويقول صاحب الرسالة « إن نظام إقامة وليمة فى مقر الإمارة قد ألغى بعد وفاة الشريف عبد الله باشا بثلاث أو أربع سنين وهذا شىء يؤسف له.

فى ذكر المساجد المأثورة فى مكة المكرمة

الأثر الخامس والعشرون: مسجد أبى بكر:

المسجد المشهور بمسجد أبى بكر يقع فى الجهة اليمانية وفى مكان يسمى «مسفلة» عليه قبة وفى داخله كوخ.

يزور الحجاج هذا المكان كما أن أهل مكة يزورونه ويقيمون فيه حلقات الذكر ويدعون الله، بما أن أبا بكر الصديق قد ولد فى هذا المكان السعيد فإنه يشتهر أيضًا باسم «دار أبى بكر»، وطول سطح هذا المكان من كل جهة عشرون قدمًا وعرضه خمسة عشر قدمًا، إلا أن له فى الجهة الجنوبية حديقة محاطة بالسور مساحتها أربعمائة ذراع، إن النبى ﷺ، قد شرف جبل الثور قادمًا من هذا البيت، إن هذا الحادث الجلل قد فصل فى المقام الرابع والعشرين من «محمود السير». وقد أشرفت مبانى ذلك المسجد مع مرور الأيام على الخراب، لذا عمره وأصلحه مدير الحرم الشريف أحمد أفندى على أحسن وجه وبشكل رصين فى سنة (١٢٩٦).

الأثر السادس والعشرون: مسجد ذى طوى:

يقع هذا المسجد فى الجهة الشمالية من مكة المعظمة وفى الوادى الذى أطلق عليه أهل مكة «ما بين الحجرتين» وفى المحل الذى خصص لإقامة المحمل المصرى، وعلى الجهة اليمنى فى طريق العمرة، وقد بات قائد الأصفياء ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى هذا المكان فى حجة الوداع، وبعد أن صلى فيه صلاة الفجر اتجه إلى مكة المكرمة.

وقد ذكر صاحب «العقد الثمين» أن بانيته سيدة تسمى زبيدة، ولكنه لم يبين لنا من هى زبيدة هذه ومتى بنته.

الأثر السابع والعشرون: مسجد التنعيم:

إن مسجد التنعيم فى مكان قريب من مسجد عائشة ويبعد عن المسجد الحرام ما يقرب من ثلاثة أميال[1] أو أربعة، وكل جهة من جهاته عرضها خمسين قدما.

وفى يمينه جبل نعيم وعلى يساره جبل ناعم، لذا أطلق على الوادى الذى أسس فيه وادى النعمان، وإن كان المؤرخون يخبروننا أن هذا المسجد كان يطلق عليه اسم هليلجة وكانت بجانبه شجرة قديمًا إلا أن ابتعاد هذا المسجد عن ميلى الحرم (يعنى ابتعاد مسجد عائشة الذى يوجد فى ناحية جبل نعيم عن الميلين) فالمسجد الذى قال عنه المؤرخون أنه مسجد هليلجة غير المسجد الذى يكتسى فيه الحجاج ملابس الإحرام بنية العمرة، وهو مسجد التنعيم.

ويظهر أنه المكان الذى يقع فوق قمة الجبال التى خلف صهاريج «سنان باشا» وعلى الجهة الشمالية من مسجد عائشة والذى أحيط بجدار هو أرض مسجد التنعيم.

وهذا الجدار كثيرًا ما ينهار بصدمات الرياح ويخرب إلا أن الزوار الكرام يبتدرون لتعميره وترميمه.

الأثر الثامن والعشرون: صهاريج سنان باشا

كان فى الزمن القديم فى هذا المكان صهريج واحد وكانوا يملئونه عند نزول المطر يتوضئون منه، وعندما زار سنان باشا مكة المعظمة فى أثناء سنة (٩٨٧هـ) حين عودته من اليمن رأى أن مياه ذلك الصهريج قد نفذت، كما أن مياه البئر الذى بجانبه قد انقطعت، فاحتاج المعتمرون والحجاج حتى إلى قطرة ماء للوضوء

(١) يذهب الحجاج إليه فى ظرف ساعة.

وإزالة عطشهم، فتأثر من ذلك أشد التأثر، ثم أمر بحفر البئر المذكورة، وأوصل الماء إلى الصهريج المذكور بحفر مجرى، وعين من يهتم بهما ويسقى الناس، ولكن لشدة الأسف لم يبق إلى الآن، لا السقاءون ولا المجرى، وعندما تهطل الأمطار يمتلئ ذلك الصهريج ثم يخلو من المياه مرة أخرى فيظل فارغًا.

وبعد ما أمد سنان باشا ذلك الصهريج بالماء فرش أرض المطاف بالرخام[1]، وغير رمل الساحة الرملية للمسجد الحرام، وأمر بصنع سبيل وحوض فى طريق العمرة، وحفر فى أماكن بعيدة آبارا عميقة واسعة لملء السبيل والحوض بالماء بواسطة مجارى حفرها، وقد اندرس كل هذا ولم يبق له أثر، إلا أن الأصحاب الكرام حفروا كثيرا من الآبار فأصبح المعتمرون لا يعانون من قلة الماء كما كان من قبل.

لاحقة

وقد ثبت أن كل من يذهب إلى مسجد عائشة بنية العمرة ويلبس هناك ملابس الإحرام وفقًا للسنة النبوية، ثم يعود مهللاً ملبيًا إلى الحرم الشريف ويطوف مرملاً مُضْطَبِعًا[2] يسعى، فإنه ينال ثواب أداء الحج فى مدينة الرسول ﷺ الذى غفر له، وذلك ثلاث مرات فى شهر رجب ومرتان فى شعبان المعظم، ومرة فى رمضان المبارك، لذلك يقبل الحجاج الكرام على العمرة بكثرة فى تلك الشهور.

تنبيه

ويجب أن يزار المكان الذى صلب فيه حاتم بن عدى ـ رضى الله عنه ـ الذى يقع فى الجهة الغربية من مسجد عائشة، وفى ناحية جدة إذ كان ـ رضى الله عنه

(١) لأن المطاف الشريف فى ذلك الوقت كان مفروشًا بالرمل فكان الحجاج يعانون فى أثناء السير.

(٢) إن الصورة الإجرائية لهذه الأصول مسطورة فى الصفحة الثالثة عشرة من تكملة المناسك والاضطباع أن يجعل المحرم وسط الرداء تحت كتفه اليمنى ويرد طرفيه على كتفه اليسرى ويبقى كتفه اليمنى مكشوفة، وهو سنة عند جمهور الفقهاء: الشافعية والحنفية والحنابلة فى كل طواف يرمل فيه. ولا ترمل المرأة ولا تضطبع.

ـ ورفقاؤه مع عاصم بن ثابت ـ رضى الله عنهم ـ يحاربون سفيان بن خالد الهزلى وشرذمته فى مكان يسمى «رجيع»، فأسر حاتم بن عدى وسيق إلى جبل التنعيم حيث صلب، وقد أشير إلى المكان الذى صلب فيه حاتم بعلامة على شكل مئذنة ويطلق عليه أهل الحجاز اسم «ميل».

وإن كان مكان صلب حاتم بن عدى مجهولاً لدى أهل مكة، إلا أن الأشخاص الذين يذهبون إلى مسجد عائشة ويزورون الميل الذى بين الجبلين يكونون قد زاروا مصلب حاتم، لأن هذا الميل علامة خاصة لمكان الصلب وقد كتب عليه بخط عربى قديم عبارة «هذا مصلب حاتم بن عدى»، وبما أنه يطلى كل سنة كانت فالصباغة تمحو الكتابة التى عليه.

ولكن عندما ينزل المطر ويبتل ذلك الميل تظهر آثار هذا الخط، وإذا ما أمعن فيها النظر يمكن قراءته تماما.

وقد استفسرت من علماء مكة عن مصلب حاتم بن عدى، ولكننى لم أحظ منهم بإجابة شافية.

فاعتمدت على نفسى فى الكشف عن هذا المكان، بينما كنت فى يوم من الأيام فى مسجد عائشة وكان رفيقى يتوضأ أخذت أجيل النظر فى الجهات الأربعة، وأنا أفكر فى هذا الموضوع وأقول محدثًا نفسى: يا ترى أين يقع مصلب حاتم بن عدى؟ وعندئذ رأيت ميلا قصيرا على شكل مئذنة فى جهة جدة، فسألت رفيقى الذى كان رئيس الخدم والذى يطلقون عليه هنا «شيخ العمرة» ما هذه العلامة؟! إذا ما قلت أنها ميل الحرم، يجب أن تكون فى جهة الوادى بالنسبة للمسجد، فأما المكان الذى أقف فيه فهو فى ناحية جدة وفى سفح جبلين.

ألا نكون قد أصبنا عين الصواب إذا ما قلنا أنه علامة مصلب حاتم؟! ولكن شيخ العمرة قال أنا أزاول هنا مهنة الشياخة منذ ثلاثين عامًا؛ فلم أر أن فى هذا المكان علامة مثل هذه، كما أننى لم أسمع من أحد أجدادى، وانقضى الأمر

بالتوقف قليلا فى مسجد عائشة احتماء من المطر، وبَتَّ شيخ العمرة فى الموضوع مقررًا عدم وجود مصلب حاتم بن عدى فى وادى التنعيم، وأن العلامة التى أشرت إليها علامة لإشعار المحرمين بمكان الإحرام، ولكننى كنت أعلم أن مصلب حاتم كان فى وادى التنعيم نتيجة الاطلاع فى كتب سير العلماء، وإن ما يطلق عليه «معلماته» حيث يبدأ الحجاج والمعتمرين لبس ملابس الإحرام يجب أن يكون عجائب المسجد وفى وسط الطريق، كما أن هذه العلامة كانت فى اتصال المسجد من الجهة الشرقية وقائمة فعلاً، إلا أن العلامة التى قال الشيخ عنها علامة الشروع فى لبس ملابس الإحرام كانت فى جهة حجرة للمسجد المذكور، وكانت تختلف عن العلامتين فى الشكل والهيئة، وكل هذا مما أثار فى نفسى شكوكًا كثيرة، وانقطع المطر وذهبت إلى تلك العلامة، وكانت قد ابتلت من المطر وظهرت ظلال جلية لكتابة، لكن قد غيرت ألوان تلك العلامة حتى تخالها ألوان الحرباء، وحال ظلام الجو دون قراءة الحروف، فاستصوبت أن انتظر إلى وقت الزوال، وقد أصاب سهم اجتهادى مرماه، وهدانى الله إلى الطريق الصحيح، إذ انقشع الظلام وزادت حرارة الشمس، وجف صدأ العلامة فقرأت عبارة «هذا مصلب حاتم بن عدى»، وأريتها لشيخ العمرة الذى شكرنى بدوره كثيرًا وسر سرورًا عظيمًا، وأخذ المعتمرون والحجاج فى الذهاب إلى مصلب حاتم بن عدى.

الأثر التاسع والعشرون: مسجد الجن

مسجد يقع فى الجهة الثابتة من مكة المكرمة وفى مقابل جداره مقبرة المعلا الملحقة ببطن الوادى، أى فى مواجهة جبل الحجون، وهو مسجد شريف تحت الأرض.

فالذين ينتهون من زيارة مقبرة المعلا يعودون إلى ذلك المسجد لأداء ركعتين لتحية المسجد، وفى طرفيه شارعان واسعان.

إن كل واحد من طرفى أرضه فى الشمال والجنوب ثمانية أقدام، والجهة الشرقية أحد عشر قدمًا، وطرفه الغربى ستة عشر قدمًا، وبما أنه مؤسس تحت مكان اسمه «فرهادية» لا قبة له ولا مئذنة، وقد عرضت طائفة من الجن تبعيتها للنبى ﷺ، فوق أرض هذا المسجد فى ليلة عودته من الطائف.

ودخلوا فى دائرة الإسلام المنجية، وبما أن حراس مكة المكرمة يجتمعون فى هذا المكان ليلاً أطلق عليه مسجد الحرس أو موضع الخط.

وسبب إطلاق مسجد الخط عليه هو أن النبى ﷺ، خط عدة خطوط فى تلك الليلة على الرمل وهُو يشير إلى عبد الله بن مسعود المحمود العاقبة، ومن أسماء هذا المسجد اللطيفة «مسجد البيعة» إشارة إلى مكان بيعة طائفة الجن، وهؤلاء سبعة أنفار من الجنة، ينتسبون إلى الطائفة من جن بلدة نصيبين وأسماؤهم: حسأ، مسأ، سأصبرا، ناصبرا، ابنا الأرب، ابنين، أخصم، وبعض الرواة يضعون بدل «ابنا الأرب»: «ازريان» ومكان «ابنين»: «أحقب»، إن هذا المكان هو الذى بايع فيه الجن النبى ﷺ، قبل البعثة، وقد أماط محيى الدين بن عربى، اللثام عن هذه الحقيقة.

حتى إن معاذ بن عبد الله بن معمر، وهو ممن أيدوا هذه الحقيقة، روى أن واحدا قد لف جنيا يسمى عمرو ـ نال الشهادة فى عهد خلافة الفاروق ـ فى خرقته ودفنه والحكاية تالية الذكر تعود إلى سيدنا معاذ.

حكاية:

قال معاذ رضى الله عنه: كنت جالسًا مع عثمان بن عفان، فمر علينا رجل وقال: بينما كنا نمضى من ذاك المكان هبت على طرقنا عاصفة كأنها زوبعة فى مكان قريب منا، أذرت ما على الأرض من قش فى الهواء، ثم أعقبتها زوبعة أخرى غاية فى شدتها، والتصقت بالزوبعة التى هبت أول الأمر وتشاجرتا مدة مديدة وكأنهما حيوانان يقتتلان ثم سكنتا، وهاتان الزوبعتان كانت كل منهما قد

هبت من سفح جبل، ولأن إحداهما حملت على الأخرى قلنا: لابد من وجود سر فى هذا، وما كان فى وسعنا التقدم خطوة أو التأخر خطوة، لذا توقفنا هنيهة فى مكاننا.

وبعد أن اختفت إحدى هاتين الزوبعتين التى تخلع القلوب ببشاعتها والأخرى بالجبل لفترة انفصلت كل منهما عن الأخرى، وتوجهت كل منهما إلى جبل ولم يعد لهما من أثر.

وعند انفصالهما بدت إحداهما ضعيفة خائرة القوة، لذا تملكنا شديد الفضول فمضينا إلى مكان لقائهما فرأينا كثرة من الحيات وقد نفقت، وكانت تنبعث منها رائحة ذكية، ولكى نعرف أى حية تنفح هذه الرائحة الذكية شرعنا نقلب الحيات النافقة، وفى النهاية أدركنا أن رائحة المسك تلك تنفح من بطن حية صفراء الظهر بيضاء البطن.

ويالها من حية عجيبة تنفح مسكا لم أر مثلها فى حياتى، فلففتها حول عصاى وفى قول آخر حول خرقتى ودفنتها فى طرف الطريق، ثم قفلت راجعًا إلى رفاقى، وما أن هممنا بالذهاب حتى تراءت لنا من الجهة الغربية للمكان الذى كنا نجلس فيه أربع نساء قلن لنا: ليعلم من دفن عمرو ـ أى الحية المقتولة ـ أنه دفن شخصًا صوام النهار قوام الليل، يرعى أحكام القرآن، وهذا الرجل قد آمن برسول الثقلين قبل أن تأتيه الرسالة بأربعمائة عام، وبعد البعثة لمبايعته وكان يستمع إلى الوحى، قلن هذا من كلامهن واختفين عن الأنظار.

كان هذا ما رواه معاذ رضى الله عنه.

وروى ابن حبّان هذه الواقعة كذلك فقال: إن الرجل المذكور قص على سيدنا عمر ما حدث فقال له الفاروق رضى الله عنه: نعم، فقد قال لى رسول الله ﷺ، «إن ثمة من بايعونى قبل بعثتى بأربعمائة عام» صدق رسول الله ﷺ، وجاء فى كتاب المرجان فى أحكام الجان الذى ألفه أبو البقاء الحنفى إن رسول الثقلين

ﷺ، دعا طائفة الجن إلى الإسلام ست مرات: فى جبل حراء، وشعب الحجون، وأعلى جبال مكة، وبقيع الغرقد، وعلى مشارف طيبة الطيبة، وإحدى رحلاته الشريفة.

ولوجود عبد الله مسعود فى المرة الرابعة، وعبد الله بن الزبير فى الخامسة فى خدمة الرسول ﷺ، فقد شاهد كلاهما جنا ممن أسلموا، حتى إن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ سمع أصواتهم وشبههم بقوم «الزط»[1].

الأثر الثلاثون: مسجد الراية:

يقع هذا المسجد فى الطرف الشمالى من البلدة الطاهرة مكة المكرمة يقع بجانب بئر جبير بن مطعم بن عدى المشهورة، وفى الجهة الجنوبية لمسجد البيعة، وفى جوانبه الأربعة منازل كثيرة ودكاكين وافرة وسوق عظيم.

والزوار بعدما يزورون مسجد الجن، يزورون مسجد الراية حيث يصلون ركعتى تحية المسجد ثم يعودون، ومساحته السطحية طولها أربعة وعشرون ذراعًا وعرضها عشرة أذرع.

مسجد الراية الشريف، إنه المكان الذى ركز فيه النبى ﷺ، رايته فى يوم الفتح المنير وصلى ركعتين تحيةً له. وبناء على قول الإمام الأزرقى بأن بانى هذا المسجد هو عبد الله بن عبد الله بن عباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم، وقد رممه وعمره المعتصم بالله البغدادى.

الأثر الحادى والثلاثون: مسجد المدعا:

إن أرضه طبقا لما نقله عبد القادر الجيلانى بالقرب من دار أبى سفيان بن حرب، وهو مكان طوله عشرون قدمًا، وعرضه خمسة أقدام، وكان بيت الله يرى من هذا المكان، وبما أنه لا شك فى استجابة الدعاء الذى يرفع إلى الله من مكان، أول ما يرى الإنسان فيه بيت الله، فالدعاء مقبول فيه، وهو فى هذا المكان من سنة رسول الله السنية.

(١) «الزط» قوم غاية فى طول القامة، سحنتهم مخيفة.

نظم

اسمـــع منـــى صفـــة المدعـــا
فقـــد استجيـــب الدعـــاء هنـــا
على رأس هذا الطريق عند الوصول
توقـف الرسـول مـن أجـل الدعاء
إن تراب طريقه أفضل من دواء العين
لعـــين الـــروح منـــه الجـــلاء
إن ذلك الرمل الذى وقع فى هذا العمر
كـــل حبـــة منـــه درة ثمـــينة
إن شوكـــــه ورود ورياحيـــــن
إنـــــه إنســـــان العيـــــن
هـــــداه يحيـــــى الموتـــــى
وهـــو راحـــة للخاطـــر المحزون
أزرف الدمـع مـن أهـداب عينك
وافتـــح فـــاك وســـل الله حاجتـك

(فتوح الحرمين)

الأثر الثانى والثلاثون: مسجد البيعة:

يقع مسجد البيعة فى الجهة الشامية من مكة المكرمة وعلى بعد رمية سهم من العقبة التى تشير إلى حدود منى، وفى جهة مكة ويظل على شمال الشخص الذى يذهب إلى منى، وأمام جبل صراصر ومقبرة أحمد المهدلى، وإن مساحته من الجهة الشمالية ثمانية وخمسون قدمًا والجهة الجنوبية منه ستة وأربعون والجهة الشرقية مائة والجهة الغربية مائة وثمانية أقدام ومكشوف السقف.

قد بايع النبى ﷺ، فى موقع هذا المسجد سبعون من أعاظم الأنصار الكرام أو ثلاثة وسبعون، كما يذكر أصحاب السير، وكان مع النبى عمه عباس فى السنة الثانية عشرة من البعثة النبوية، وعقب ذلك نادى شيطان اسمه «أزب العقبة»

قائلاً يا قوم قريش!! إن حجاج قبيلتى الأوس والخزرج بايعوا محمدا، وعزموا على تقديم العون له فى كل الأمور وشوش أفكار قريش تشويشًا، وإن كانت قريش أرادت أن تمد إلى الأنصار يد الأذية والتسلط.

إلا أن الأصحاب الكرام دافعوا عن أنفسهم بإلقاء، خطب تشتمل على التهديد، وأظهروا الحسام عند خصامهم لشرذمة المشركين الحقيرة، وظهروا بأنهم متفقون ومتعاهدون مع كثير من أقوام العرب والعجم للدفاع عن النبى ﷺ، وهكذا نجوا من شرارة الثأر التى أوقدها «أزب العقبة» بعون الله خير الحافظين، وعادوا إلى ديارهم.

وإن كان أهل مكة يطلقون على هذا المسجد «مسجد العشرة» ويذهبون إلى أن هذا المسجد مسجد «العشرة المبشرين» إلا أن هذا الرأى ظاهر الخطأ؛ لأن المسجد المذكور شهد بيعة نقباء الأنصار الذين أتوا قبل الهجرة من المدينة المنورة وأسلموا وهم: أسعد بن زرارة[١] وعوف ومعاذ[٢] ابنا عفراء[٣]، رافع بن مالك[٤]، العباس بن عبادة[٥]، منذر بن عمر[٦]، عبادة بن الصامت[٧]، يزيد بن ثعلبة[٨]، عقبة بن عامر[٩] قطبة بن عامر بن حديدة[١٠] أبو الهيثم بن التيهان[١١] عويم بن ساعدة ذكوان بن عبد قيس الزرقى.

إذا ما نظر إلى حكم الصورة الثانية من الوجهة الخامسة لمرآة المدينة نجد أن حكم هذه الرواية ضعيف أيضًا.

لأن اليوم الذى بايع فيه النقباء كان معهم ثلاثة وسبعون من رفقائهم، وإذا كان المراد من مسجد العشرة نقباء الأنصار العشرة الذين وجدوا فى يوم البيعة، فإن المكان لم يحظ بهؤلاء النقباء فقط وفى الواقع إن كلمة العشرة، تورد على خاطرنا أن أرض هذا المسجد هى مكان بيعة العشرة أشخاص الذين بايعوا النبى، وإذا حكمنا بصحة هذه الخواطر، فيقتضى الأمر أن يكون هؤلاء من أصحاب البيعة الثانية[١] التى وقعت بعد الولادة النبوية باثنين وخمسين سنة، لأن البيعة المذكورة قد تمت فى موقع مسجد العشرة، وكان عدد المبايعين عشرة أشخاص

(١) أنظر فى بيعة العقبة ابن هشام ٢/ ٨١، وابن سعد ١/ ١/ ١٤٨، والطبرى ٢/ ٣٦٠، وجوامع السيرة لابن حزم ص ٧٤، وابن كثير ٣/ ١٥٨، والدرر لابن عبد البر ص ٦٧ ـ ٧٤. وغيرها.

مدنيين، ولكننا إذا نظرنا إلى العبارة التى كتبت على حجر ذلك المسجد والتى تقول: إن المنصور العباسى أمر ببناء هذا المسجد مسجد البيعة الذى شهد أول بيعة بايع بها رسول الله ﷺ، نرى أنها تؤيد صحة القول الأول والله أعلم بالصواب.

قد بنى هذا المسجد أبو جعفر المنصور البغدادى فى سنة ١٤١هـ مكشوف السقف، وعنى المعتصم بالله بترميمه وتعميره، وجدده فى سنة ٩٦٣هـ دفتر دار مصر إبراهيم بك بضم بعض القباب فى ناحية القبلة من حرارة الشمس، ومازال إلى الآن مكشوفا إلا أماكن القباب وقد حددت جهاته الأربعة بحائط متين ولا مئذنة له.

الأثر الثالث والثلاثون: مسجد النحر:[1]

هو هذا المعبد الذى يسمى بمسجد المنحر فى وسط الجهة الشرقية من صحراء منى، وبين الجمرة الأولى والجمرة الثانية وفى اتصال دار المنحر، وطول أرضه ثلاثة وستون قدمًا، وعرضها تسعة وأربعون قدمًا، وبما أنه بين الحجرة الأولى والحجرة الثانية يظل فى الجهة اليمنى للمتوجه إلى عرفات.

وإن كان بانيه مجهولاً فقد عمره فى سنة ٦٤٥هـ صاحب اليمن الملك منصور، وأقام بالناحية القبلية صفا من القباب وترك الباقى مكشوفًا، وإذا نظرنا إلى ماحك على الحجر الذى فى داخله نعرف أن رئيس قافلة الأنبياء (عليه وعليهم التحايا) قد ضحى فى مكان هذا المسجد فى حجة الوداع بعد أداء صلاة الضحى ونحر بنفسه (٦٣) جملاً وضحى بالواسطة[2] (٣٧) جملا.

الأثر الرابع والثلاثون: مسجد الخيف:

مسجد الخيف بين جبل ثبير والجبال التى تقابله وتواجهه. أى أنه معبد كبير وموجود فى الجهة الشمالية من ميدان منى وفى وسطه كل من جهتيه الشمالية والغربية أربعمائة وخمسون قدما، وكل من جهتيه الشرقية والجنوبية ثلاثمائة وتسعون قدمًا، وقد غطيت جهته الجنوبية بقباب عالية وجهاته الباقية مكشوفة.

وفى وسط ساحته تمامًا قبة كبيرة على شكل الخيمة، ويروون أن تحت القبة

(١) يقال لهذا المسجد «مسجد المنحر» أيضًا.

(٢) الواسطة هو على بن أبى طالب.

التى على شكل الخيمة كان المكان الذى نزل فيه الرسولﷺ، وأنه مدفن أنبياء، ولأجل ذلك يطلق على تلك القبة «قبة الأنبياء» وقد رفعت تلك القبة على أعمدة مكشوفة وداخلها يزار، وللمسجد مئذنة تقع على شمال الداخل فى المسجد من بابه الكبير ويزعمون أن آدم ـ عليه السلام ـ مدفون تحت أساس هذه المئذنة.

خبر:

كان قد صلى على جنازة آدم ـ عليه السلام ـ ابنه «شعيب» عليه السلام، وأنه قد دفن فى جبل أبى قبيس أولا، إلا أن نوح ـ عليه السلام ـ أخذه فى سفينته أثناء الطوفان، وبعد الطوفان دفنه فى المكان الذى فيه مسجد الخيف، ويدعى المؤرخون أن قاعدة تلك المئذنة فوق سرة آدم عليه السلام.

وكان للمسجد أولا عشرون بابا، والآن قد سد ثمانية عشر من أبوابه وبقية نواحى المسجد مجهولة إلا أنه أصلح وعمر مرة من قبل كل من: أبى جعفر المنصور البغدادى فى سنة ١٥٩هـ، والمستنجد بالله ابن المقتفى بالله العباسى فى سنة (٥٥٩هـ)، وأخيرًا من وزير الملك العادل نور الدين زنكى الذى أحاط المدينة المنورة بسور، وأنقذ سكانها من هجمات الأشقياء وهو جمال الدين محمد أبى منصور الأصفهانى، وجدده السلطان قايتباى المصرى أيضًا فى سنة (٨٨١هـ) فصار رصينًا متينا، وبنى تلك القبة الجميلة التى على شكل الخيمة، وأشار إلى أن الأرض التى تحت القبة كانت مصلى للنبى ﷺ، كما أن المرحوم قايتباى هدم الجدران القديمة التى على أطراف المسجد الأربعة، وبناها من جديد، وصنع أربعة أبواب متينة ومحرابًا، كما بنى قبة ذات ثلاثة طوابق للمئذنة، كما بنى بجوارها دارا لإقامة أمير الحجاج، وجعل على بابه سبيلاً وصنع فى داخل المسجد صهريجًا يملأ بماء المطر ويمد السبيل بالماء ثم صنع له بابا كبيرا يفتح إلى جبل عرفات وبابا صغيرًا يفتح إلى ناحية غار المرسلات، وقد طرأ تغيير على الترميمات التى حدثت من قبل وقد تغيرت أطرافه جميعًا فى التعميرات التى حدثت فيما بعد، ولم يبق فى زماننا هذا إلا باباه وقبابه والقبة التى على شكل الخيمة.

مسجد الخيف معبد فى غاية اللطف ومكان مبارك مقدس إذ قال النبى ﷺ، حسب ما سطر فى معجم البلدان: «حج إلى بيت الله سبعون نبيًا وكلهم طافوا بالكعبة ثم صلوا فى مسجد الخيف، إذا استطعتم أن تصلوا فيه كلما أتيحت لكم الفرصة فلا تفوتوا ذلك» كما اشتهر بين العلماء ما قاله أبو هريرة «ولو كنت من أهل مكة لكنت ذهبت إلى منى كل ليلة سبت لأداء الصلاة فى مسجد الخيف».

يقول مؤلف بهجة التقوى: «أربعمائة نبى دفنوا فى مسجد الخيف» كما يروى الإمام الأزرقى أن وسط هذا المسجد مئذنة ذات إحدى وأربعين درجة وأن لها ثمانى شرفات، كانت ساحة مسجد الخيف من الأماكن المقدسة فى جاهلية العرب أيضًا؛ لذا كانوا يجتمعون فيها وفى مكان قريب منها كانوا يقسمون للقيام بعضهم ضد بعض، ومن هذا القبيل قد اجتمع فى هذا المكان «بنوكنانة» وقبائل قريش وتحركوا ضد أبناء بنى هاشم وعبد المطلب وتعهدوا باليمين ألا يتعاملوا معهم ببيع وشراء وألا يتزاوجوا منهم، وهكذا أقسموا على الكفر.

الأثر الخامس والثلاثون: مسجد الكبش

يقع مسجد الكبش على يسار الذاهب من منى إلى عرفات وفى سفوح جبل ثبير وهو مكشوف السقف وجهتاه الشمالية والجنوبية فى طول ثمانية عشر قدمًا، وجهتاه الغربية والشرقية اثنين وعشرين واثنا عشر قدمًا، لما كان الموقع المذكور هو المكان الذى ألقى فيه إسماعيل على وجهه للذبح، لذا يعرف بين الأهالى بمذبح إسماعيل ومسجد إسماعيل، والحجر الأسود الذى ضربه إبراهيم ـ عليه السلام ـ بسكينة وفلقه قطعتين ظاهر أمام المسجد، ويتصل هذا المصلى من جهته الشمالية بغار يسمى غار الفتح، وخلف مصلى هذا الغار صخرة كبيرة مجوفة تسمى «صخرة عائشة» والجهات الشمالية والشرقية لداخل هذه الصخرة واحد وعشرون

قدمًا، وجهاته الغربية والجنوبية عشرون قدمًا، ويروى أن النبى ﷺ، كان يتعبد فى داخل الغار المذكور كما أن زوجة الرسول ﷺ، كانت تعتكف فى داخل الصخرة المذكورة.

قبة الكبش:

هى فى الجهة المكية للمغارة التى سبق ذكرها وفى سفوح جبل ثبير التى تمتد نحو جمرة العقبة، وهذه القبة على أربعة أعمدة ومكشوفة الجوانب وبما أن هذه القبة اشتهرت بأنها مكان نزول كبش إسماعيل فتعرف بين الأهالى بقبة الكبش، ومساحة المسطح الداخلى لقبة الكبش أربعة عشر قدمًا عرضًا، وطولاً خمسة عشر قدمًا، وأنزل كبش إسماعيل بعد الطوفان بـ ١١٩٢ سنة كما بينه المؤرخون.

الأثر السادس والثلاثون: مسجد المرسلات:

يقع مسجد المرسلات فى الجهة الجنوبية من مسجد الخيف أى فى الجهة اليمانية لمنى وفى سفح جبل، وهو مصلى من غير أبنية، إنه الساحة التى نزلت فيها سورة المرسلات الجليلة، جهتاه الشمالية والجنوبية كل واحدة منهما ستة وعشرون قدما، والجهة الشرقية ستة عشر قدما، والجهة الغربية اثنا عشر قدما.

هذا المسجد مغارة عادية وفى سقفها حجر، وفى صدر هذ الحجر أثر رأس النبى، وما زال ظاهرًا إلى الآن، إن الأرض المذكورة جوف صخرة هائلة فى سفح الجبل الذى يقابل جبل ثبير.

حينما شرف الرسول الكريم، شمس السماوات، هذا الغار يوما لمست رأسه الشريفة ذلك الحجر فما كان من الحجر إلا أن لان مثل العجين حتى لا يؤذى رسول الله ﷺ، ومنذ ذلك ظل أثر رأسه الشريفة فيه، ويتبرك الزوار بمس ذلك الأثر برءوسهم حتى ينجوها من نار جهنم، وكل شىء مأمول من الله سبحانه تعالى.

يروى المحب الطبرى عن خادم الرسول ﷺ «عبد الله بن مسعود» أن الرسول ﷺ، حينما كان يشرف «منى»، كان يقيم فى هذا الغار، وفى يوم من الأيام

أنزلت على الرسول ﷺ، سورة المرسلات، وأخذ ابن مسعود يتلقى تلك السورة من فم الرسول مباشرة، وفجأة ظهرت أفعى عظيمة الجسم وهجمت على الذين كانوا معه، وبذل الجهد لقتل هذه الأفعى إلا أنها نجت بالهروب، وقال الرسول ﷺ، عندئذ «إن الله قد كف شرها عنكم كما كف شركم عنها».

يقول الإمام الفاسى، بينما كان مجد الدين فيروز آبادى جالسا مع جماعته فى الغار وكانوا يتلون سورة المرسلات ظهرت حية، وهجمت عليهم ولكنها لم تتحمل مقاومة الناس فهربت، وفى رواية أخرى أن تلك الأفعى كانت من طائفة الجن فلم يسمح النبى ﷺ بقتلها، فعاشت تلك الحية حتى زمن الشيخ مجد الدين فيروز آبادى.

الأثر السابع والثلاثون: مسجد إبراهيم:

يعرف مسجد إبراهيم باسم «مسجد نمرة» إن هذا المسجد يقع فى الساحة الواسعة لعرفات وهو المكان المبارك الذى يصلى فيه الحجاج صلاتى الظهر والعصر جمعا، وعلى يمين جبل الرحمة.

عمره السلطان قايتباى المصرى سنة ٨٧٣هـ، وبنى مظلتين ليستظل تحتهما الحجاج، كما أنه أمر بإقامة العلامتين اللتين يطلق عليهما «العلمان» بالقرب من ذلك المسجد لتحديد حدود عرفات، والجزء الأمامى الذى يسع لستة صفوف من المصلين مغطى، والباقى مكشوف، وفى الجهة الشرقية ستة أبواب كبيرة وعلى جهاته الأربعة جدار يعلو أربعة أمتار وفوق محرابه قبة.

ومحيط جهاته الأربعة مائتان وثمانون قدمًا. وله صهريج محكم الصنع يسقى الحجاج ويملأ من مجرى عين زبيدة.

نصيحة

لما كان ذلك المشهد بعيدا عن محل الوقوف مسافة نصف ساعة ولما كان من الأولى أن يمضى إلى المسجد فى وقت الزوال حينما تشتد حرارة الشمس فيوصى الذين يذهبون هناك أن يحافظوا على أجسامهم؛ لأن الحرارة فى عرفات تصل إلى (٣٩) درجة تحت الخيمة؛ لذا يصاب الحجاج بضربة شمس قد تؤدى إلى شرور كثيرة.

حتى يروى أن أحد الحجاج حينما كان يغسل غياره عاريا انتفخ جلد ظهره كأنه صب عليه ماء مغلى.

الأثر الثامن والثلاثون: مسجد المشعر:

يقال لمسجد المشعر مسجد آدم أيضا وهو فى مكان مقابل جبل قزحة فى ساحة المزدلفة والتى تبعد عن مسجد إبراهيم بثلاثة أميال، أى فى الجهة اليمانية للموقع الذى يطلق عليه المزدلفة، وعرض أرضه المباركة عشرة أقدام، وطوله مائة قدم، وله محراب ومئذنة وسبعة أبواب، وهو مستطيل الشكل ويصعد إليه من جهاته الثلاثة بسلالم وعند البعض أن جبل القزحة كله يعد من المزدلفة.

المزدلفة:

مأخوذة من الإزدلاف بمعنى الاجتماع، وسبب تسميته بذلك أن الحجاج يجتمعون مع بعضهم فى هذا المكان، أو أن آدم ـ عليه السلام ـ قد اجتمع بحواء ـ رضى الله عنها ـ فى هذا المكان، أو أن الحجاج يصلون إليه فى زلفة من الليل، فى قمة جبل قزح مكان لإيقاد النار وكان العرب قديما يوقدون فيه النار ظانين أنه موقد (آدم) عليه السلام.

المأزمين:

مأزم على وزن منزل وتثنية هذه الكلمة مأزمين، يطلق المأزم على كل شىء يضيق ويتداخل، وبما أن ما بين عرفات والمزدلفة مكان ضيق لذلك سمى بهذا الاسم.

ويطلق على هذا الموقع اللطيف «المأزمان» بتثنية الكلمة، ويقال كذلك للموقع الذى بين منى ومكة، «المأزمان» لأن طرفيه جبال والحجاج الذين يعودون من عرفات يؤدون صلاة المغرب والعشاء فى المزدلفة جمعا.

المشاعر:

يطلق المشاعر على المكان الذى يوجد فى داخل العلامات والأعلام التى وضعت لتحديد حدود عرفات، وكان العرب جميعا يقضون وقفة عرفات فى المشاعر بينما قريش كانت تقف فى داخل الحرم الشريف، وقد رفض النبى ﷺ، أصول أهل الجاهلية وفعلهم، فأمر بأن يقف جميع الناس فى داخل المشاعر.

نصيحة:

بما أن هذا المكان بارد ليلا نوعا ما فيجب أن يحافظ الحاج على نفسه حتى لا يصاب بمرض.

* * *

obeikandl.com

الأثر التاسع والثلاثون: مسجد الصخرة

مسجد الصخرة فى عرفات وهو متصل بجبل الرحمة وفى داخل الصخور والمسجد المذكور مصلى فى طول ثلاثين قدما وعرضه ثمانية أقدام، ويروى أنه المكان الذى وقف فيه الرسول ﷺ.

الأثر الأربعون: مسجد جبل عرفات:

هو المكان الذى يلقى فيه شيخ مكة المكرمة خطبة عرفات.

لازمة:

يوم الوقفة هو اليوم التاسع من ذى الحجة من كل سنة، ولما كانت الأيام العشرة الأولى من أفضل الأيام؛ لذا كانت الطاعات والعبادات فيها أفضل من الطاعات والعبادات فى الأيام الأخرى.

وبناء على القول الصحيح المنقول عن الإمام النيسابورى أن الأيام العشر من ذى الحجة أفضل الأيام وأحبها إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعد أيام رمضان، وقد نجا موسى ـ عليه السلام ـ من فرعون فى هذه الأيام، وقيل فى هذه الأيام توبة أبى البشر آدم ـ عليه السلام ـ وفداء إسماعيل ـ عليه السلام ـ وهود ونوح ـ عليهما السلام ـ وقد صادف الأيام العشر الأولى لذى الحجة رسالة نبينا، وبيعة الرضوان وفتح خيبر ووقفة الحديبية، ونزول الآية الجليلة ﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾ (الفتح: ٢) واكتساء جميع الحجاج ملابس الإحرام، إن كل هذا لدليل قاطع على أفضلية هذه الأيام، إن صيام يوم واحد فى هذه الأيام العشر الأولى يساوى صيام ألف يوم من الأيام الأخر، والذى يحيى ليلة واحدة من لياليها تساوى طاعات وعبادات الحجاج والمعتمرين لسنين طويلة، وإن

obeikandi.com

كان صوم هذه الأيام مستحبًا وغاية فى القبول لدى الله، فيجب ألا يصوم الحجاج فى اليوم التاسع منها؛ لأن الصوم سيورث الفتور والضعف للحجاج الكرام، ويحول دون أداء شعائرهم كما يجب.

إن خير الأدعية المأثورة فى هذا اليوم «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» وكان نبينا ﷺ، والأنبياء جميعا يواظبون على هذا الدعاء فى يوم عرفه. انتهى.

مساحة مسجد عرفات ثلاثون قدما فى الطول، وثمانية وعشرون قدما فى العرض، ويبدأ من حدود عرفات ويبعد عن الموقف الشريف ميلا واحدا. إن المكان الذى يطلق عليه موقف الإمام أعلى من سطح الأرض، ولم يكن له طريق يصعد إليه وينزل منه بسهولة؛ لذا جعل جمال الدين الأصفهانى له سلما ذا خمس درجات أو عشر؛ وأنقذ الناس من مشقة الصعود إلى الجبل ثم حفر عدة أحواض، وأنقذ الناس من مشقة العطش.

وبما أنه لم يكن فى الأول سلما ولا حوض ماء كان النساء يعانون من العطش ومن الصعود والنزول إلى مسجد الجبل عند الزيارة.

عرفات:

وعرفة اسم المكان الذى يقف فيه الحجاج يوم عرفة، أو هو اسم الجبل الذى بنى عليه مسجد عرفات ويبعد عن مكة المكرمة اثنى عشر ميلا.

فى قمة هذا الجبل وفى الجهة الشمالية من مسجد عرفات وهو بناء قديم، ويعرف هذ المكان على أنه مطبخ سيدنا آدم، ويفهم من هذا أن آدم ـ عليه السلام ـ تلاقى مع زوجته حواء ـ رضى الله عنها ـ فى هذا المكان، وعندما أتم بناء بيت الله وكان حينئذ قد أتم مائة سنة منذ أن هبط على وجه الأرض.

إن حجم جبل عرفات أصغر من جميع جبال الحرمين، ولكن قدره ومنزلته أعلى من جميع الجبال فى العالم، كما يفهم من مضمون هذه القصيدة.

إن هذا الجبل الذى يسمى «عرفات»

أكثر انخفاضا من جميع الجبال

وإن كان فى صورته من الجبال أصغر

إلا أنه فى المعنى أكبرها جميعا

امتلأ برحمات الله حجرها
يجتمع الإنس والجن حولها
إنها قمة كقمة الجبل سَمَتْ
أقامت خيمة نور القمر أشعت
حولها من الجمال أفواج وأفواج
وكأنما هى فى البحر أمواج
أكثر اتساعا من صدور من يحجون
وكل من فيها كلهم بعملهم مغولون
ولكن خارج الأرض الحرام
لتلك القوافل مقام كسوة مصر بالتمام
وفى الوسط محمل مسكى آخر
على رأسه ظله تظهر
لا تحسبن أنك تشاهد فيه الرمال
إنما فيه الجواهر والماء الزلال
لقد انبجس من سفح الجبل ينبوعها
إن من ماء الصفا ماؤها
مبرة آدم فى شمال الجبل
وفيه لسكنى الفقير محل

«فتوح الحرمين»

تصدى الإمام الكرمانى شارح البخارى لتعريف كلمة عرفات وقال: إن عرفات أماكن متعددة وهو اسم المكان الذى يقف فيه الحجاج، وعرفه اسم اليوم الذى يسبق عيد الأضحى، ولهذا أراد أن يخصص هذا الاسم لمكان واحد، لهذا الجبل إلا أنه قد جانب الصواب، لأن هناك من نقل روايات كثيرة فى وجه تسمية عرفات منها أن آدم ـ عليه السلام ـ وحواء نزل كل واحد منهما فى مكان بعيد عن الآخر، وبعد مدة تلاقيا فى هذا المكان، ولذا سمى المكان بعرفات، وقول

آخر أن جبريل ـ عليه السلام ـ علم فى هذا المكان آدم ـ عليه السلام ـ مناسك الحج،و ووضح له أن عرفات آخر مشاعر الحج، فأراد أن يتأكد من فهمه فسأله قائلا: «أعرفت؟ أعرفت؟»، فأخذ الجواب «عرفت، عرفت» وهذا هو سبب تسميته بعرفات. وقول أخر بما أن عرفات من الأراضى المقدسة وكأنه قد عُرف أى طُيِّبَ برائحة طيبة فأطلق عليها هذ الاسم، وهناك أقوال أخرى كثيرة فى هذا الموضوع.

وبما أن ذكر غير هذه الأقوال وتفصيلها سيدعو إلى الملل، آثرنا أن نكتفى بما ذكرناه.

obeikandl.com

نصيحة

فى عرفات غير عين «زبيدة الجارية» عدة أحواض ولكن هناك طائفة تسمى «تكرورى» وغيرها من الجهلة يغسلون فى هذه الأحواض ملابسهم وقلة منهم أيضا يستحمون فيها مما يكدر مياه الأحواض حتى لا يستطيع الإنسان أن يمنع نفسه من الاشمئزاز عند رؤيتها. لذا فعلى الحجاج الكرام أن يمتنعوا قدر الإمكان من الشرب من مثل هذه المياه.

رواية:

إن جبل عرفات جبل مقدس مبارك إلى أبعد درجة، ومهما رويت عنه من روايات تصدق مع شدة غرابتها ومع ذلك فالحجاج يروون عنه بعض الروايات التى لا تستقيم مع ذوى الألباب.

ومن قبيل هذا ما ذكروا من أنه فى عام ١٣٠٠ وفى يوم عرفة أن حادثا غريبا قد وقع، وهو أن صاعقة سقطت على سطح جبل الرحمة فأحرقت بضعة أشخاص وشوتهم، وعند التدقيق والمعاينة قد تبين أن المحروقين كانوا من المجوس، وأضاف حجاج إستانبول أن حكمة سقوط الصاعقة كانت للقضاء على هؤلاء الأشخاص، وبما أننى لم أصدق هذا الحادث بأى شكل من الأشكال، فبعثت إلى أحد الأشخاص الذين أثق فيهم فى مكة المكرمة أستوضحه الأمر فجاء الرد كالتالى:

الجواب

استلمت رسالتكم التى تستوضح عن الصاعقة التى سقطت عند سفح جبل عرفات فى يوم الوقفة، وعدد من أهلكتهم وهذه هى حقيقة الأمر:

لم يكن الحجاج قد وقفوا فى عرفات بعد فقامت السماء ودون أن يكون هناك برق ولا رعد ثم جاءت صاعقة من ناحية البحر إلى القرب من جبل الرحمة

والأحواض، حيث سقطت برعد ودوى شديد وقتلت مسلما هنديا وجملين، هذه هى حقيقة الحادث أما ما قيل عن المجوس أو النصرانى فمختلق، وفى الواقع أننى لم أكن هناك حينما وقع الحادث، ولكننى بمجرد أن استلمت رسالتك اهتممت بالأمر، وتحريت عنه فسألت عن الموضوع من السيد الوالى والآخرين ممن أثق فيهم. وكان الباشا الوالى يتناول طعامه حينما سقطت الصاعقة بجانب خيمته ففزع فزعا شديدًا».

وقد تحقق لى أن القصة لا أصل لها من هذه الرسالة التى وصلتنى من مكة.

الأثر الحادى والأربعون: مسجد جعرانة:

يقع مسجد جعرانة بين مكة المكرمة وبلد الطائف؛ إلا أنه أقرب إلى مكة من الطائف وعلى بعد ثمانية عشر ميلا وعلى جانب وادى «جعرانة». وبما أنه لقب ريطة بنت سعد بن زيد بن عبد مناف والتى أشير إليها بالآية الكريمة ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا** ﴾ (النحل: ٩٢) وأنها قد اختارت الاستيطان فى هذا المكان، فالمكان مشهور بلقبها.

وكان يقال لها الخرقاء كما تصرح بذلك الآية الكريمة لأنها كانت تأمر جواريها من الصبح إلى الظهر بغزل خيوط الصوف والوبر، وتنقضها بعد الظهر. وهكذا تقضى أيامها فى الغزل والنقض؛ لذا اتخذت مثلا للحماقة بين العرب. وزع بطل قوافل الأنبياء (عليه أعظم التحايا) غنائم غزوة حنين فى العام الثامن الهجرى فى هذا المكان، وفى يوم الأربعاء الثانى عشر من ذى القعدة من نفس السنة لبس ملابس الإحرام، ومضى نحو مكة المكرمة حيث أدى مناسك العمرة. إنه مكان مبارك سعيد.

وقد ثبت بأقوال النبى ﷺ، أن سبعين نبيا قد أحرموا من هذا المكان للعمرة، وفى جعرانة بئر مأثورة مباركة ذات مياه خفيفة عند الشرب وقد حفر النبى ﷺ، هذا النهر بيديه الكريمتين والصحابة الكرام، وأحاطوها بالحجارة لأنه حينما حفر فى هذا المكان انبجس الماء، وكان النبى ﷺ قد حفر فى هذا المكان قدر شبر فانفجر الماء فروى عطشه، وأحاط الأصحاب البئر بالحجارة وقد زاد عمقها يوما بعد يوم حتى أصبحت من الآبار المباركة، ومازال الناس يتبركون بها إلى يومنا هذا وليس بالجانب اليمانى من الطائف بئر ماؤها أعزب وأخف من هذه البئر.

الشكل الثلاثون

الأثر الثانى والأربعون: مسجد الفتح:

يقع فى وادى المر بالقرب من الحجون. وقد عمر هذا المسجد الشريف صاحب مكة الشريف أبو نمى، وبعده السيد حناش بن راجح وقد صلى النبى ﷺ، فى هذا المكان المبارك.

الأثر الثالث والأربعون: مسجد المتكأ:

قد خربت أبنية مسجد المتكأ ولم يتبق أحد يعرف مكانه، ولكن المحب الطبرى يدعى أنه فى أطراف جهة تسمى «الجياد» يروى أن النبى ﷺ صلى فى هذا المحل ثم اتكأ إلى مكان ما واستراح.

الأثر الرابع والأربعون مسجد الجنيد:

يقع مسجد الجنيد فوق الجبل الأحمر الملاصق لمنازل مكة خلف جبل قعيقعان، وبناء على قول سعد الدين الإسفراينى أن هذا المكان كان مصلى جنيد البغدادى وإبراهيم بن الأدهم (قدس الله أسرارهما) لذا يستجاب الدعاء الذى يرفع إلى الله فى هذا المكان، هذا المكان ليس مسجدا بمعنى الكلمة ولكنه حفيرة على الأرض، وكان مكان التجلى للجنيد وقد سبق ذكره فى موضوع جبل أبى قبيس.

الأثر الخامس والأربعون: مسجد الإجابة:

يقع هذا المكان بالقرب من مكان يسمى (ثنية الأذاخر) الواقع على يسار الذاهب إلى منى أى فى مكان يقال له «معابدة» فى الناحية الشامية لمكة المكرمة، وعلى يسار من يستقبلون «ثنية الأذاخر» وإن كان لم يبق أثر لخرائبه؛ إلا أن فوق أرضه حجر قد حك عليه عبارة (إنه مسجد الإجابة)، ويحتمل أن يكون المحل

الذى يوجد فيه ذلك الحجر مكان مسجد الإجابة.

وقد بنى فوق أرضه فى سنة (٧٢٠هـ) مسجد لطيف مازال قائما. وأخذ العُرْبان يبنون حول هذا المكان المنازل والبيوت حتى تحول إلى حى مما يؤيد رأى الأهالى فى كون هذا المكان ساحة مسجد الإجابة.

يروى:

أن النبى ﷺ قد صلى صلاة العصر على أرض خالية لمسجد كائن فى مكان يطلق عليه كندرة فى زقاقه القطب.

وقد بنيت فوق هذه الأرض محال ومنازل ولما لم يسترح سكانها حين إقامتهم فيها وترك المكان خاليا، ثم حولت إلى مسجد. وفى (محاطة) و (قرن مقلة) أرض مسجدين، ويروى أن هذه الأماكن كانت بيعته لأهل مكة يوم الفتح كما يروون أن المسجد الذى فى داخل مستشفى الغرباء من المساجد المأثورة.

الزوايا الشريفة

إفادة خاصة:

فى مكة المعظمة زوايا شريفة وإنها مجمع أولياء الله الصالحين والروحانيين، لذلك بينا أسماءها وأماكنها حتى نسهل لمحبى زيارتها طريق زيارتها فى الجدول الآتى:

الزوايا	الأسماء	الجهات
١-	على القارى	بابها متصل بمقبرة المعلا والحجون.
٢-	الشيخ عبد الوهاب الكبير	فى مكان يطلق عليه حجون.
٣-	الشيخ عبد الوهاب الصغير	فى شعبة النور من مقبرة المعلا.
٤-	ابن عليوان	فى المقبرة السلمانية فى المعلا.
٥-	العباسيين	فى الجهة الغربية لمكان يسمى تقا.
٦-	العبادى	فى المحل المسمى فلق.
٧-	الرفاعى	فى الجهة الغربية لسوق المعلى.

الزوايا	الأسماء	الجهات
٨-	الامام النسفى	فى الجهة الغربية لسوق المعلى.
٩-	على البدرى	فى الجهة الغربية لشعب عامر.
١٠-	عبد القادر الكيلانى	فى الجهة الغربية للمدعى.
١١-	الإمام الطبرى	فى موضع سوق الطبرى فى مدعى.
١٢-	الشيخ السمان	فى الجهة الغربية لباب الزيادة.
١٣-	العادلى	فى حى الشامية.
١٤-	أحمد البدرى	فى جودرية.
١٥-	صاحب الجوهرة السلطانى	فى اتصال معسكر «غيرتيه»
١٦-	تاج الدين	فى الجهة الغربية من جب الهندية.
١٧-	الشيخ المسافر	فى حى الشبيكة.
١٨-	عيد روسى	فى حى الشبيكة.
١٩-	المحجوب	فى حى الشبيكة.
٢٠-	خالد بن الوليد	فى الجهة الغربية لحارة الباب.
٢١-	الشاه محمود	فى الجهة الغربية لجرول.
٢٢-	شهداء الفتح	فى مقبرة الشهداء.
٢٣-	سيدنا عمر الفاروق	فى الجهة اليمانية لجبل عمر.
٢٤-	سيد الحداد	فى الجهة اليمانية من جياد.
٢٥-	محمد بن عيسى	كائن فى الصفا.
٢٦-	الشيخ الجزولى	مؤلف دلائل الخيرات فى القشاشية.
٢٧-	بهاء الدين	واقع فى سوق الليل.
٢٨-	الشيخ هارون	فى لصق دائرة الإمارة فى سوق الليل.
٢٩-	الشيخ الشاذلى	فى وادى شطا فى حى القلعة.

* * *

يقول المؤرخ الأزرقى فى تاريخه أن عدد جبال مكة المكرمة يبلغ اثنى عشر ألفا وكتب مؤلف «البحر العميق» أن قمم الجبال التى ذكرها الأزرقى تميل ناحية مكة المكرمة وكعبة الله كأنها تسجد، وهذه الحقيقة تتضح لمن يلقى نظرة على الكعبة من فوق قمة ثبير، ويذكر أنه قد تحقق من ذلك بنفسه.

يقول ابن النقاش من المفسرين الكرام أن صدور هذه الجبال تكنز الذهب والفضة وكثيرا من المجوهرات الأخرى وستنكشف لمن وعد من الله ـ سبحانه وتعالى ـ وكتب أغلب المؤرخين مقالات طويلة فى أوصاف هذه الجبال ومدحها والثناء عليها ولشدة الأسف قد نسيت أسماء هذه الجبال مع مرور الزمن، وغفل الناس عن فضائلها لذا فنحن اكتفينا بذكر أشهرها.

الأثر السادس والأربعون: جبل أبى قبيس:

جبل أبى قبيس أحد الأخشبين وقد سمى بهذا الاسم نسبة لأحد الحدادين من قبيلة «مذحج» الذى صعد فوق هذا الجبل ونصب خيمة وأقام فيها. وهذا الجبل يقع فى الجهة الجنوبية التى تميل إلى الشرق من البيت الحرام، أى فوق جبل الصفا المقدس الذى يقع فى الجهة الشرقية من مكة المكرمة، ويروى أنه أقدم الجبال خلقا.

نظم

لعدم ثبات الأرض جعل ذو الجلال
جعـــل فـــى كـل ناحيـة الجبـال
أول جبل على وجه الأرض استقر
كأنـه الفـص فـى الخاتـــم قـــر

وقد زين أكثر من نصف هذ الجبل بالمنازل، واستقر فوق ذروته مسجد يسمو

نحو السماء، وبما أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد حفظ الحجر الأسود على قمة هذا الجبل قد عرف قديما بجبل الأمن، ويروى المؤرخون فى سبب التسمية ثلاثة أقوال:

الأول: ما ذكر من أن الحداد قد أقام فوق قمته.

السبب الثانى: أن الجبل المذكور أخبر إبراهيم ـ عليه السلام ـ بوجود الحجر الأسود فيه.

والسبب الثالث: أن قبيس قد فرق بين عمرو بن مضاض وعشيقته «منية» وقطعت «منية» صلتها بعمرو الذى كان يحبها حبا جنونيا فنذر أن يقتل قبيسا، ويقضى عليه وكان قبيس قد اطلع على نذر عمرو بقتله، فهرب من خوفه إلى جبل أبى قبيس، ولم يعد مرة أخرى فسمى الجبل بجبل أبى قبيس.

والقول المصدق لدى الجمهور هو القول الأول أما القولان الآخران فلا يعتد بهما لدى أهل مكة، وخلق هذا الجبل قبل الجبال الأخرى، ووقعت معجزة شق القمر فوق هذا الجبل. وبناء على أشهر الأقوال، أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ قد دعا الناس للحج من فوق قمة هذا الجبل. ومن الأقوال الموثوقة أن الكعبة الشريفة ستزين مثل العروس فوق هذا الجبل مسجد بدون مئذنة من قبل «إبراهيم القيس» وكل واحد من طولى أرضه ثلاثون قدما، وكل واحد من عرض أرضه عشرون قدما، وقد عمره فى سنة ٩٧٧ أحد الخيرين من الهنود، وأضاف له مئذنتين وقبة.

وقد صلى النبى ﷺ على ساحة هذا المسجد فى يوم فتح مكة، كما أن بلالا ـ رضى الله عنه ـ قد أذن فوقه فى ذلك اليوم البهيج، وموقع محراب هذا المسجد هو المكان الذى وقف فيه بلال للأذان كما أن المكان الذى أمامه حيث توجد حجرة هو المكان الذى حفظ فيه الحجر الأسود فى طوفان نوح ـ عليه السلام ـ وعلى قيد (٢٠٠٠) خطوة من الجهة الشرقية لذلك المسجد مرتفع مُحَاطٌ بشىء قديم، ولكن أحد أصحاب البر والإحسان بنى حوله فى سنة ١٢٩١هـ جدارًا فى ارتفاع ذراع، ونصف وهكذا حفظه من كل سوء.

ويروى أن هذا المكان المقدس جلس فيه الرسول ﷺ وقت وقوع معجزة شق القمر، وكل جهة من طولى ذلك المرتفع ثلاثون قدما، وكل جهة عرضية واحد وعشرون قدما، ويعرف هذا المصلى بمسجد شق القمر. «فتوح الحرمين»

وبين هذا المسجد سالف الذكر والمصلى حفرة كبيرة، ومما يشتهر بين العوام أنَّ أكل راس شاة مشوى فى هذه الحفرة يمنع الصداع طوال العمر، وهذه القصة قد ترددت على ألسنة أهل مكة، إلا أنها لا أصل لها إن هذه الحفرة موقع مناجاة لأولياء الله، فالجنيد البغدادى، وإبراهيم ابن أدهم، وفريد الدين العطار وأمثالهم كانوا يعتكفون فيها، ويتعبدون أربعين يوما، وعلى قول أن أبا البشر وابنه شيث ـ عليهما السلام ـ مدفونان فى هذه الحفرة وهذا ما نقله بعض المؤرخين، طبقًا لرواية أخرى أن قبر آدم ـ عليه السلام ـ كان بالقرب من مكان يعرف بـ (غار كنن) بهذا الجبل، فأخذه نوح ـ عليه السلام ـ وحمله فى السفينة ثم أعاده إلى موضعه، وبناء على قول ابن كثير والثقاة من المؤرخين أن آدم مدفون فى الهند، ويقول الإمام الأزرقى أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف (عليهم السلام) مدفونون إما فى جبل أبى قبيس أو فى بيت المقدس إلا أن كل هذه الروايات اليست مبنية على سند يصدق.

هناك رواية تنقل أن آدم ـ عليه السلام ـ وابنه شيث مدفونان تحت مسجد الخيف، ويدعوان أن هذه الرواية أقوى الروايات المنقولة فى هذا الموضوع، ولكن مع هذا لا يمكن الحكم بصحتها.

اختلف فى المكان الذى أخذ منه التراب الذى خمر لتكوين قالب جسد ـ آدم عليه السلام ـ كما اختلف فى مكان قبره، وبناء على الأقوال التى يعتمد على صدقها ويوثق بها: أن التراب الذى شكل منه وجه آدم أخذ من تراب الكعبة العطر، وتراب صدره وظهره من بيت المقدس، وتراب فخذيه من أرض الحجاز، وتراب يديه الحكيمتين من أرض المشرق، وتراب ذراعيه من أرض المغرب، وتراب رأسه من بيت المقدس، وتراب بشرة رأسه وشعره من الجنة، وتراب

رموشه وحاجبيه من تراب حوض الكوثر الطاهر، وعلى رواية أخرى أن تراب رئتيه من الموصل، وتراب طحاله من الحجاز، وتراب بشرة جسمه من الطائف، وتراب جبهته من أرض كنعان، وتراب محل عورته من بابل، وتراب أمعائه وأحشائه من الجزائر، كما أن عظامه مأخوذة من الجبال المختلفة.

إن الاختلاف بين البشر فى الخلق والشكل والهيئة والطباع يرجع لهذا. وانعدام تشابه أولاد آدم وأحفاد بعضهم البعض يرجع لاختلاف مصادر التراب.

وجبل أبى قبيس ليس عظيم الارتفاع، إلا أن ارتفاعه عمودى، فمن صعد تبين، ومع ذلك فإن مشاهدة البيت الأنور من قمته تزيل التعب. وما ذاك إلا أن سطح الكعبة يغمر القلب بغبطة لاسبيل إلى وصفه، وسرعان ما يزيل عنه كل ما يشعر به من تعب ونصب.

* * *

الأثر السابع والأربعون: جبل ثور

جبل مبارك يقع على بعد تسعة أميال وعلى أشهر الأقوال على بعد ثلاثة أميال أو ميلين فى الجهة الجنوبية من مكة المكرمة. وهذا الجبل أضخم قليلا من جبل النور ويرتفع عن الأرض بمقدار (٢٥٠) ذراع معمارى، وسمى باسم من سكنه وهو (ثور بن عبد مناف)، ويقال إن كل ما فى أرض الحجاز من أشجار ونباتات وأزهار تنبت فى هذا الجبل وقيل إن فيه شجرة لو يحمل الإنسان جزءًا صغيراً مبريا منها لا تمسه أية حشرة مؤذية.

وبالقرب من ذروة هذ الجبل كهف ضيق يصعب الدخول فيه، وقد أقام فيه النبى ﷺ، ثلاثة أيام عندما هاجر إلى المدينة المنورة. وبابه ضيق لدرجة أن طفلا نحيلاً لا يمكنه الدخول فيه، ولكن من حكمة الله أن أضخم الناس جسما يستطيع دخوله والخروج منه، إلا أنه يقتضى الداخل أو الخارج أن يصلى على النبى ويسلم عليه، وباب الكهف ـ مع كونه ضيقا ـ مثقوب على شكل المئذنة من اليمين إلى اليسار فالداخل إذا ما انحرف قليلا إلى اليمين وبعده إلى اليسار يدخله دون أن يلمس شيئا متسربا كمياه جارية، فالذين يدخلون فى الغار يخرجون من مخرجه الواسع فى الجهة الشرقية بعد أداء ركعتين من الصلاة فيه. يتسع لدخول مجموعة من ثلاثة أشخاص معا، إن هذا المدخل قد فتحه جبريل عليه السلام بأجنحته عند خروجه من الغار، لأن النبى ﷺ، دخل فيه من باب الكهف الضيق، ثم خرج من الباب الذى فتحه جبريل ـ عليه السلام ـ لذا ترى الزوار يدخلون فى الغار من الباب الذى فى الجهة الغربية منه، ويخرجون من المخرج الذى فى الجهة الشرقية منه وذلك للتبرك. «**فتوح الحرمين**».

ولما كان ارتفاع جبل ثور عموديا فإنه يصعد من سفحه إلى حيث الكهف فى خمس وأربعين دقيقة، ولكن من يجدّون فى الصعود يستطيعون الوصول إليه فى نصف ساعة وفى الجهة الجنوبية من ذلك الغار محل مكشوف آخر.

يقال إن عبد الله بن عباس كتب فيه تفسيره الكبير. وزيارة غار ثور قاصرة بين الأهالى على يوم السبت، ولكن الحجاج يمكنهم أن يزوروه فى كل الأيام، والذين يلجون فى هذا الغار لا يحزنون ولا يغتمون أبد الدهر. إن للغار بابان كما وضحنا أحدهما ضيق، والآخر واسع جدا لأنه فتح بضربة من جناح جبريل ـ عليه السلام ـ ويقال لمن لا يوفق فى دخوله الغار «إنه ليس ابن أبيه».

قصة:

كان فى الزمن القديم رجل غنى جدا وفى فترة ما هلك أولاده وعياله وتلف ماله ولم يبق شىء فى كنفه، ومع هذا لم يكن يحزن أو يغتم، وقد أثارت هذه الحالة عجب أفراد قبيلته وقالوا له يا هذا قد فنى جميع أموالك وعيالك وإنك لا تظهر قدرا ولو قليلا من الحزن والهم كأنك لم تتأثر بما حدث لك؟! ما أعجب حالك؟ وما هذه اللامبالاة؟ وما أصبرك على الكوارث؟!.

فقال لهم: كنت قد سمعت من أحد الأشخاص أن الذى يدخل فى غار ثور لا يحزن لما يصيبه من مصائب الدهر الفانى؛ لذا دخلت فى هذا الغار بكل صدق وإيمان؛ ومنذ ذلك اليوم لم أتأثر لأية مصيبة ولم أتأسف لضياع شئ حتى إننى لا أعرف ما هو الحزن أو الألم بل نسيتهما فاستعجب قومه.

الأثر الثامن والأربعون: جبل حراء:

هو اسم آخر لجبل النور الذى بدأ فيه نزول الوحى. ويقع هذا الجبل فيما بين مكة المكرمة ومنى فى الجهة الشامية من بلدة الله، وعلى بعد ثلاثة أميال (أوساعة واحدة) من المسجد الحرام بين الجبل المذكور وجبل ثبير الذى أمامه واد سعيد، يعنى أن (جبل النور وجبل ثبير) كلاهما يظلان على يسار الذاهبين إلى

منى، وقد حدثت واقعة شق الصدر فوق جبل النور، وقد بنى فوق أرض المكان الذى حدث فيه شق الصدر مسجد لطيف، وداخل مسطح هذا المسجد ستون قدما مربعا، والقبة التى فوق مبانيه تظهر من بعد ساعتين. وفى داخل هذا المسجد صخرة طويلة مجوفة، ويقال إن هذا المكان كان متكأ الرسول ﷺ فى أثناء شق صدره الشريف.

والغار اللطيف الذى نزلت فيه سورة ﴿اقرأ﴾ يقع على بعد خمسمائة خطوة فى الجهة الجنوبية من مسجد شق الصدر، فالزوار ينالون آمالهم بالزيارة سواء أكان الغار المذكور أو المسجد سالف الذكر، ولهذا الغار منفذ فى الجهة الجنوبية حيث تظهرمنه مكة المكرمة تماما وقد ثبت بالروايات الموثوقة أن النبى ﷺ كان يتعبد فى هذا الغار قبل البعثة.

من الأشياء المهمة التى اختلف عليها علماء الأسلاف طريقة عبادة النبى ﷺ قبل البعثة. إذ قال بعض العلماء إنه كان يفكر فى آيات الله، وفى الكون ومصنوعاته. وقال البعض كان يتذكر خلق الكائنات. وقال البعض إنه كان يتنسك ببعض الأعمال غير المنسوخة من دين موسى. وقال البعض وكان متمسكا بشريعة إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقال البعض كان يتعبد بالأحكام الصحيحة للشرائع السابقة. وإن كان القول الأخير يبدو مرجحا على الأقوال الأخرى، ولكن بناء على أصح الأقوال وأوثق الروايات أنه كان يعمل وفق الأحكام الباقية من شريعة إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ لأن طائفة العرب كانوا يعملون بأحكام من بقايا دين إسماعيل مثل الحج، والختان، وإرجاع زوجاتهم بعد الطلقة الأولى والثانية، واعتبار فدية الرجل مائة جمل، والاغتسال من الجنابة، والمضمضة والاستنشاق واستخدام السواك، وتحريم ذات المحارم، والاستنجاء، وتقليم الأظافر، واستخدام الشفرة، وقطع اليد اليمنى للص.

وقد عمل نبى آخر الزمان وفقا لهذا أعمال العرب وعاداتهم، وكان يجتهد فى الأعمال الأخرى حتى إذا ما اقتنع بأن ما يفعله من الأعمال حسنًا فيعمل به، ولم

يلتفت النبى ﷺ إلى الأصنام والأوثان فى صباه ولم يبال بأقوال الذين كانوا يرجون ألا يحقر الأصنام.

ويمكن الوصول إلى مسجد شق الصدر بسير بطئ من سفح الجبل فى نصف ساعة، ويمكن الصعود إليه فى عشرين دقيقة بسير معتدل.

كان الاسم الأصلى لجبل النور (جبل حراء)، وبما أن نور شمس النبوة أشرقت من هذا المكان وبما أن النبي ﷺ قد تعبد فيه مدة طويلة قبل البعثة؛ أطلق عليه (جبل النور). وكان العرب يراعون جانب هذا الجبل، وفوقه صهريج قديم خرب يمتلىء بالمياه كلما هطلت الأمطار.

ويجدد الزوار وضوءهم عند ذلك الصهريج ويستريحون جالسين فى المقهى الذى بجانبه، وليس المقهى مثل المقاهى المبنية من اللبن والحجارة ولكنه مجرد خيمة عادية.

رواية:

كان النبى ﷺ قد اختفى فى جبل ثبير، فناداه جبل ثبير قائلا: يا رسول الله ابتعد عنى بما أنه لا مكان للاختفاء على ظهرى وأخاف أن يراك القرشيون فيؤذونك، ورجاه أن ينتقل إلى جبل آخر وعقب ذلك سمع صوتا هاتفا من جبل حراء يقول: يا رسول الله! تفضل عندى إننى أستطيع أن أحافظ عليك. وهذا ما ينقله الإمام السهيلى فى كتابه «الروض الأنف».

وخرج صاحب «البحر العميق» قائلا: إن النبى ﷺ لم يختف فى مكان آخر غير غار ثور؛ إلا أن الإمام الأزرقى قال «عندما كانت قريش تبحث عنه كان فوق جبل ثبير، حتى قال الجبل (يا رسول الله لا تبق فوقى لأننى أخاف أن يهجم عليك الكفار، ويقتلونك فأتعرض لعقاب ربى) وقال جبل حراء: «يار سول الله أقبل إلى» فترك النبى ﷺ جبل ثبير وذهب إلى جبل حراء حيث اختفى من قريش، وقال أن هذه الواقعة غير واقعة جبل ثور، وبهذا أيد الإمام السهيلى وخرج قول صاحب البحر العميق.

ولا نهاية لفضائل وعجائب جبل النور، يقول المرحوم مؤلف (بهجة النفوس) إننى كنت أذهب فى بعض الأيام لزيارة جبل النور وفى يوم الجمعة بعد الظهر من جمادى الأولى سنة ٧٥٣ صعدت فوق قمة ذلك الجبل لزيارته كالعادة، ولما وصل إلى سمعى أصوات عجيبة من الأحجار رفعت من على الأرض بعض الحجارة، وأخذت الحجارة تصيح فى كفى وكانت الأصوات تسمع من مسافة قدر طول إنسان. ولما فهمت أن تلك الأحجار تسبح الله وتقدسه، أخذت أدعو الله قدر استطاعتى وفى أثناء ذلك غابت الشمس خلف السحب، ولما ظهرت الشمس بعد فترة انقطعت صيحات الحجارة، وعندما غابت الشمس مرة أخرى خلف الغيم أخذت الحجارة كلها تصيح، وقد أصبحت تحت ظل السحب. وبما أن الساعة قد وصلت إلى العاشرة لم أستطع أن أبقى أكثر من ذلك، فعدت وأصبحت أسمع صيحات الحجارة وأنا بعيد عن سفح الجبل بمائة خطوة، فرويت لأبى ما سمعت، فقال لى قد حدث لى أيضا هذا الحال عدة مرات، إذ كنت أذهب إلى زيارته مع بعض الرجال، ورأيت أحد كبراء البلد يلتقط بعض الحجارة من الأرض. فسألته فأجاب قائلا (كل هذه ذهب خالص ونفقتى السنوية).

يروى أن المرحوم المرجانى قد زار الجبل مع بعض أصدقائه، وسمع أن الحجارة تصيح وتسبح كما سمع بعض أصحابه.

نظم

إنه على بعد ميلين من «المعلا» إنه جبل نور تناطح قمته الجوزاء
إن ياقوت «بدخشان» لايلتمع أمام جوهره وقرص الشمس والقمر فى سفحه
إن رمله وهج نور يمحو قصة موسى وتجلى الطور
ولو أن الياقوت فى «بدخشان» فان فى هذا الجبل يكن الدر اليتيم
فى حبة واحدة أعوام وشهور والرسول الذى لم يكن قد رأى طلعة جبريل
نزل عليه فى هذه الدار فجأة ولما شق القمر صدره الطاهر

«تحفة الحرمين»

الأثر التاسع والأربعون: جبل خندمة:

جبل كبير يقابل جبال أجياد وشعب عامر خلف جبل أبى قبيس. وقد نقل الإمام الفاكهى عن ابن عباس قال: قد دفن فى هذا الجبل سبعون نبيا وبسببهم تهطل الأمطار على مكة ببركاتهم.

الأثر الخمسون: جبل ثبير:

هو أعظم الجبال التى تواجه غار المرسلات الموجود فى منى. ويطلق على الجبل الذى يقع يمين المتجه من منى إلى مكة المكرمة. كما يطلق على الجبال التى تقع على يسراه «جبل ثقبة» وترتفع جبال الجهتين عن الأرض ستة أمتار، وسبب تسميته بذلك الاسم أن واحدا من قبيلة بنى هذيل المسمى ثبير قد مات فوق ذلك الجبل المبجل.

قال القاضى مجد الدين الفيروزابادى نقلا عن المفسر النقاش أن هذ الجبل أيضا من المواقع التى يستجاب فيها الدعاء، ولكنه لم يبين وقت التوجه بالدعاء، ولكن الأسلاف الكرام قالوا يجوز الدعاء فى أى وقت كان.

قال المفسر النقاش أن جبال: النور والثور وجبل ثبير قطع من جبل الطور فحينما تجلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ على جبل الطور سقطت عدة قطع من ذلك الجبل، وثلاثة منها سقطت على مكة المعظمة، وقد ذكرنا آنفا أن النبى ﷺ قد شرف غار حراء واختفى من كفار مكة المخذولين.

إضافة

قد حققت ما قاله الإمام الأزرقى عن وجود اثنى عشر ألف جبل حول مكة المعظمة، فتأكدت من صدق قوله لأن حول بلد الله الأمين ما لا يحصى ولا يعد من الجبال، وكل هذه الجبال متصلة متسلسلة، وقد نسيت أسماء أكثرها كما ذكر فى مبدأ المقال.

والجبال مضبوطة الأسماء غير التى ذكر من الجبال المأثورة هى: زرود[١] رقمتين، سلع[٢]، قعيقعانا[٣]، حاجر، أذاخر، منحنى، شامة، طفيل، حجون مصافى، صفا، مروة، معترضة، عرفات، مأزمين[٤]، قزح[٥]، صراصر، مفجر، مضايق[٦]، سبع البنات[٧]، جبل عمر[٨]، جبل الكعبة[٩]، نعيم، نعيمان[١٠]، كدا[١١]، أخشبان[١٢]، جبل الكحل، ثبير الخضراء، ثبير النضع، ثبير الزنج، ثبير الأعرج، ثبير أعنيا، قرا[١٣]، جبل أيوب، جبل سبوع[١٤].

لا يوجد فى زماننا رجل يخبرنا بأسماء الاثنى عشر ألفا من الجبال التى قال عنها الإمام الأزرقى، كما أنه لا يوجد كتاب تاريخ مفصل موثوق يدلنا على هذه الجبال، ولكننا مع ذلك لا نملك إلا أن نصدق ما قاله صاحب كتاب البحر العميق: بأن من يلقى نظرة من فوق جبل ثبير على مكة المكرمة يرى أن جميع الجبال منحنية نحو الكعبة المعظمة كأنها تسجد لها.

أوقات الدعاء وساعاته

بين العلماء الأعلام أوقات الدعاء فى الأماكن المقدسة وساعاته على اختلاف فيما بينهم، وقالوا يستجاب الدعاء عند الدخول إلى الحرم الشريف من باب بنى

(١) الجبل الذى يشرف على أبطح.
(٢) يطل عليه جبل فلق أيضا.
(٣) على ظهر أبى قبيس جرهم تقع أسلحته عندما وصلها هناك لذلك سمى بهذا الاسم.
(٤) يقال لهذه الجبال الأخشبان أيضا.
(٥) اسم المسجد الحرام ويوجد فى المزدلفة.
(٦) هذا الجبل يقع أمام الحوض الكبير لبركة السلام الواقعة فى وادى محسر.
(٧) من جبال أجياد.
(٨) هذا الجبل أيضا من جبال اجياد وقد ولد هناك عمر بن الخطاب (رضى الله عنه).
(٩) أخذت أحجار أجياد من هذا الجبل لتعمير بيت الله الحرام.
(١٠) يسمى وادى التنعيم السهل الواقع بين الجبلين ومسجد عائشة فيما بين الواديين.
(١١) هذا الجبل يتصل بوادى سليم.
(١٢) هما جبلان أحدهما جبل أبى قبيس والآخر الجبل الأحمر الذى يشرف على جبل قعيقعان ويقال للجبلين فى منى أيضا الأخشبان.
(١٣) يبدأ هذ الجبل من عدن ويشكل شعبا كثيرة حتى يتصل بجبل الطور وهى أعلى جبال الحجاز.
(١٤) هذان الجبلان من الجبال المرتفعة أيضا وتقع فى الجهة الشمالية من مكة المكرمة.

شيبة فى أى وقت كان، وفى ليالى الجمعة فى بيت السيدة خديجة الكبرى ـ رضى الله عنها ـ وفى أيام الاثنين عند المولد النبوى وعند الزوال، وفى أيام الأربعاء عند مسجد الشجرة، وفى أيام الأحد فى مسجد المتكأ صباحا، وعند الظهر يوم السبت عند جبل ثبير ومسجد نمرة ومسجد نمل[1]، وفى أوقات السحور عند الميزاب الذهبى ومقام إبراهيم وخلفه، وأوقات الفجر[2] عند «الركن اليمانى»، وفى منتصف النهار عند الحجر الأسود. وفى منتصف الليالى عند الملتزم، وفى أوقات العصر عند الصفا والمروة، وفى أوقات غروب الشمس فى داخل أبنية بئر زمزم، وفى دار الأرقم وفى ليالى البدور فى منى، وعند طلوع الشمس فى المزدلفة، وعند غروب الشمس فى مسجد صخرة عرفات، وعند الطواف فى المطاف وفى الأماكن الأخرى.

مبرك الناقة:

مكان محدب مثل القبر قرب باب العمرة. ويزوره الناس على أنه قبر مشهور مع أنه مبرك ناقة السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ لأنها عندما اعتمرت أبركوا ناقتها فى هذا المكان، فنزلت فيها ودخلت فى الحرم الشريف، وطافت بالبيت، وإن زيارة هذا المكان لا تخلو من فائدة، إلا أنه يلزم زيارته على أنه مبرك ناقة السيدة عائشة وليس قبر بثبوت لزوم الإرشاد.

ولما كان هذا الكتاب يحتوى على مآثر مكة المعظمة التى أنبأتنا بها كتب التاريخ، فلا يظن أن هذا سيغنى الحجاج الكرام من اتخاذ الأدلاء؛ لذا يجب على الذين يلبسون ملابس الإحرام لأداء فريضة الحج أن يتخذوا دليلا من أهل مكة، وصحيح أن هؤلاء الأدلاء ليس عندهم فكرة عن التاريخ، وعما يخبره المؤرخون، ولكنهم بحكم وجودهم فى مكة المكرمة وحياتهم فيها فهم يعرفون آداب السعى والطواف وأركان الحج أكثر من المؤرخين.

(١) لا يوجد فى زماننا من يعرف مكان مسجد النمل.

(٢) الفجر هو الوقت الذى يجوز فيه أداء صلاة الصبح، أما السحر فهو وقت الظلمة قبل الفجر، وفى وقت السحر يجوز للصائم أن يتناول الطعام لذا يسمى هذ الطعام السحور. هذا هو الفرق بين الفجر والسحر.

ومهما كان الإنسان مطلعا على التاريخ وتعلم ما يخص المناسك وكان متبحراً فى العلوم فهو فى حاجة إلى دليل عند زيارته للمآثر المبروكة، وأن طفلا من أهل مكة فى الخامسة أو السادسة من عمره يمكنه أن يخجل فى آداب الزيارة، وتعيين مواقعها ومعرفة آثار مكة المتبحر فريد عصره ووحيد دهره، إن فى عصرنا هذا من المستحيل أن نجد عالما متبحرا فى تحليل المسائل الفقهية والشرعية ودقائقها مثل الإمام الأعظم أبى حنيفة رحمة الله.

قد أوجب الإمام الأعظم ـ الذى يُسَلَّمُ بفضله وكماله ـ اتخاذ دليل للحاج. ولا يقال ما دامت كتب المناسك فى اليد والمعلومات التاريخية فى الحافظة فما لزوم الدليل؟

وفى الواقع أن كتب المناسك والمعلومات التاريخية يمكنهما أن تكونا رفيقين شقيقين للحاج، وهذه حقيقة غير قابلة للإنكار، إلا أن الشخص المتبحر الذى تعلم مسائل الحج من كتب المناسك، وتعرف على الآثار الشريفة بواسطة كتب التاريخ، ثم حج معتمدا على هذه الأشياء يشبه ربان الباخرة، فمثل هذا الربان لا يستطيع أن يقترب من الشطآن المجهولة معتمدا على المعلومات الغنية للشخص المكلف بحسابات السفينة، وما معه من الخرائط ومتانة آلات الباخرة وسائر أدواتها، صحيح أنه قد يصل إلى المكان الذى يقصده بدلالة البوصلة ومتانة الآلات والأدوات الأخرى، ويمكنه أن يتجافى مخاطر العواصف والأعاصير المتوقعة، وأنه قد يصل إلى شاطئ السلامة، لكن مع كل هذا لا يمكنه أن يستغنى عن الدليل المرشد الذى يعرف أماكن الجزر والمضايق والرمال التى لا تستقر فيها المرساة والجرف، وكل ربان يخرج إلى البحر بدون أن يأخذ معه دليلا بدافع تعنته وغروره الأنانى، يكون قد ألقى بأرواح المسافرين معه فى بحر الهلاك.

وكذلك تعطى كتب المناسك والتاريخ معلومات صحيحة ومكملة، إلا أنه يحتاج إلى دليل عند زيارة الآثار، دليل يوضح له الآثار، وآداب زيارتها وكيفية تصرفه عند وجوده عندها، لأن الكتب لا تستطيع أن تؤدى الخدمة التى يؤديها

الدليل. وبناء على ذلك يقتصر اختيار الدليل على كونه من أهل مكة. وبما أن قبلة الموحدين الكعبة المعظمة المفخمة تقع فى واد غير ذى زرع؛ فأغلب سكانها يتعايشون بالدلالة وسقاية الحجاج. والقليلون منهم يشتغلون بالخياطة والعطارة وغيرها من أعمال البيع والشراء وتمر الحياة عندهم. وكانت مهنة الدلالة المهمة فى صدر الإسلام وقصرا على خمسة أو عشرة أشخاص، وفيما بعد تعددت البلاد الإسلامية وأصبح من الواجب تعيين دليل خاص لكل بلد من البلاد الإسلامية. وفى زماننا أدلة خاصة سواء أكان للمسالك العثمانية أو الممالك الموجودة فى البلاد الأجنبية، فالحاج عندما يصل إلى مكة فمن الأمور الواجب إتباعها الاتصال بدليل بلاده ومراجعته، فإذا ما لجأ إلى دليل آخر غير الدليل الذى عين من أجل بلاده يكون قد ألقى نار الخصومة بين الدليلين، وقد صدرت مثل هذه الخصومات فيما مضى كثيرا حتى قام الأهالى بعضهم ضد بعض، لأجل ذلك قرر أن يكون لكل دليل وكيل فى مرفأ جده المعمورة، يستقبل الحجاج التابعين له وكان قرارا سديدا.

وبما أن للعساكر السلطانية دليلا بريا ودليلا بحريا معينان بالأمر العالى فهم مستثنون من مراجعة أدلاء البلاد، إذا كان الجندى الحاج من الجنود النظاميين يراجع دليل الجنود النظاميين، وإذا كان بحريا يراجع دليل البحرية، ودليل الجنود النظاميين الشيخ محمد أفندى، ودليل العساكر البحرية الشيخ أحمد حوائى أفندى، وخدم أحمد حوائى أفندى فى داخل البيت الأكرم ما يقرب من خمس عشرة عاما، وقد اضطر أن يختار دلالة البحرية حتى لا يقصر فى خدمة الحرم الشريف بسبب شيخوخته، وكان يؤوى جميع ضباط البحرية وأنفارها الذين يحجون فى منزله دون أجر، إذ كان رجلا سخيا كريما رغم فقره، وقد ارتحل عن دنيانا سنة (١٢٩٩هـ) تاركا مهنته لابنيه عبد الكريم ويوسف وكلاء السادة الأدلاء فى مدينة جده، إن وكلاء جده يترقبون وصول البواخر، وعندما تأتى البواخر يستقبلون الحجاج الذين ينتسبون إليهم، ويأخذونهم إلى البيوت أو المنازل حيث يؤونهم، ثم يوصلونهم إلى مكة المكرمة بعد وصولهم بثلاثة أيام أو أربعة

أيام، بعد أن يعدوا لهم الجمال التى ستنقلهم إليها، وبعدما يكونون قد أروهم الأماكن التى تزار فى جده، وبعد العصر يذهب إلى مكة المكرمة من جده، إما بحمار أو جمل، والذين يذهبون بالجمال يصلون إلى مكة المكرمة فى ليلتين والذين يركبون الحمير فى ليلة واحدة، ويعلم الوكلاء الأدلاء قبل وصول الحجاج المنتسبين إليهم بالبريد، ويبينون فى رسالتهم عدد الحجاج وأسماء الجمالين الذين حملوا الحجاج وأسماءهم وينتظرونهم ليلة وصولهم فى خارج المدينة ويستقبلونهم.

إن استقبال أدلاء مكة الحجاج قد اتخذ توصيل الحجاج إلى مكة ليلا نظاما لدى الجمالين لذا ترى الدليل الذى استلم رسالة من جده يخرج إلى ضريح الشيخ محمود قبل وصول قافلة جده بعدة ساعات، وينتظرون وعندما تصل القافلة يقفون أمام الجمال ويبادرون فى البحث عن حجاجهم قائلين:

هل السيد الفلانى من المكان الفلانى موجود هنا؟ والحجاج الذين يجدونهم يبعثونهم إلى منازلهم فى رفقة أبنائهم أو خدمهم، ويجد الأدلاء حجاج الممالك التى يتولون دلالتهم، ويرحبوا بهم أعظم ترحيب ويرسلونهم إلى منازلهم، ويضع الأدلاء الأشياء التى على الجمال فى أماكنها المطلوبة، ثم يأخذونهم إلى المسجد الحرام حيث يقومون بمناسك الحج من الطواف والسعى، وبعد مرور عدة أيام يهيئ لهم الدليل وكالة حيث يأويهم.

ويعتبر حفل الضيافة الذى يقيمه الأدلاء من العادات الطيبة القديمة لدى الأدلاء. وإقامة وليمة عظيمة للحجاج بعدما يتم تسكينهم فى الوكالات حتى لو كان حاجا واحدا. ويطوف به الكعبة طوال وجود الحاج فى مكة المكرمة.

الخدمات التى يؤديها الأدلاء للحجاج:

لما كان الحجاج محتاجين لعون أدلائهم سواء كان فى الطواف والزيارة والبيع والشراء فى النهوض والحركة، فالأدلاء يفتخرون بأداء هذه الخدمات للحجاج بكل صدق وإخلاص.

ومن هنا ترى أن الدليل يقابل الحاج منفرداً عدة مرات، ويستفسر عن حاله ويهيئ له ما يحتاج إليه.

كيف يقابل الحجاج خدمات الأدلاء:

ذكرنا الخدمات التى يؤديها الأدلاء للحجاج فهم يقابلون هذه الخدمات والترحيب بالنقود، وكل حاج يرى دينا عليه أن يدفع عقب الوليمة التى تقام له قدرا من النقود حسب حاله.

وفى عيد الفطر يوم عودته مقدارا من النقود، وكذلك ينفحه من أسبوع لآخر عدة قروش، وبما أنه يلزم إعطاء وكيل الدليل الذى فى جده بعض النقود يعطى، الحاج فى اليوم الذى يتحرك من جده إلى مكة المكرمة مقدارا مناسبا من النقود كهدية، وكل هذه الهدايا تعد من نوع الصدقة الشرعية.

وكل هذه الأشياء يمكن تحقيقها باللجوء إلى ظل السلطان الظليل، السلطان عبد الحميد الثانى، إمام المسلمين، وخليفة الأرض وبالدعاء إلى الله بمد عمره وزيادة قوة دولته كما هو مبين فى الخاتمة الآتية الذكر؛ لأن تأمين الحرمين المحترمين من تسلط المتسلطين وإخلائهما من اللصوص الناهبين وجعلهما ساحة آمنة مصونة، يؤدى الحجاج فيهما مناسكهما فرحين مبتهجين آمنين؛ متوقف على وجود خليفة ذو صفات قدسية وأولاده وأحفاده إلى يوم القيامة على وجود خليفة عادل كل همه: خير الأمة الإسلامية.

* * *

ضرورة وجود السلطان ووجوب الطاعة والانقياد له

إن السلامة والفلاح سواء أكانت فى هذه الدنيا ساحة تجلى القدرات، أو فى حياة الآخرة الباقية يتوقف على وجوب الطاعة والخضوع لأوامر خليفة العصر ونواهى السلطان الذى يصدق عليه معنى الأثر القائل والسلطان ظل الله فى الأرض، ويأوى إليه كل مظلوم.

كان علماء السلف الصالح يرجعون إلى السلاطين أصحاب الإمامة والخلافة فى عصورهم لحل الخلافات، وإزالة الشبهات؛ وهذا يدل دلالة قطعية على وجوب عرض الأمور الهامة على إمام المسلمين للعصر فى كل آن وزمان، ولكن حتى تكون الإجابة الصادرة من جانب الخليفة حائزة لرضا الله ـ سبحانه وتعالى ـ يجب على العلماء أن يوضحوا كل فقرة من فقرات القضية المفروضة وفقا للقواعد الشريفة القومية، حتى تصان الأجوبة التى ستصدر مؤيدة بإلهام إلهى من شائبة الإبهام والشك، وحتى لا تظهر الإجابة منافية للمقصود، لعدم وضوح المسائل المعروضة، ومع هذا فنظرة الخلفاء الثاقبة وأحكامهم تشمل على خلاصة الأمور الهامة المعروضة عليه ومضمونها العام لأن الخلافة وأعبائها الثقيلة التى يحملونها فوق أكتافهم تحول دون الاطلاع على مفردات الأمور وجزئياتها.

ولما كان الخلفاء مطمئنين واثقين من أن تدقيق الأمور وتحقيقها تقع على أكتاف العلماء والوزراء، كما أنهم مسئولون عن موافقة المسائل المعروضة للأحكام الشرعية والقوانين العرفية، وهذه قاعدة مشروعة متفق عليها بالإجماع، فتدقيق المسائل وتحقيقها يخرجان عن إطار مهماتهم المقدسة، ومن هنا فالمسئولية المادية والمعنوية تقع على كاهل عارضى المسائل.

فإذا ما اطلع على أى صحيفة من صفحات كتب التاريخ القديمة فى العالم،

وإذا ما دقق وحقق فى المعاملات الجارية للأقوام الذين أتوا إلى الدنيا، مكمن العبر ثم غادروها وعمَّق النظر فيها لسَلَّمَ أن الدنيا ليست دار ثواب وعقاب، ولكنها نموذج للحياة الآخرة بكل ما فيها من المجازاة الشرعية وقوانينها العرفية، هذه هى خلاصة الخلاصة التى تستنبط من فحوى الكتب الشرعية.

وإن كان لا ينكر أن الدنيا دار كسب وعمل وتقدم، إلا أن الحصول على السعادة المطلوبة فى الدنيا والآخرة والتمتع بالنعم الجليلة والأخذ بالحظ الوافر منهما يتوقف على الانصياع لأوامر الخليفة المقتدى به وتدابيره. ولما كان منصب الخلافة أصلا قويما يجمع بين المناصب الدينية والدنيوية فقد فوض تنظيم أمور العباد وفقا للقوانين الشرعية، والحكم والتصرف ليد الخليفة القديرة، فالخدمات الدينية والوظائف التى توجه إلى رجال الدولة والمصالح العامة برمتها متشعبة من ذلك الأصل ومتفرعة منه.

وإذا لم يخف بنو البشر من سياسة الخوف والجزاء لأخلوا بالنظام وراحة الناس بحكم طبيعتهم البشرية، ولقاموا بارتكاب أعمال غير مرضية. إن ضرورة وجود خليفة مقتدر به فى كل عصر قد ثبت بالنص الجليل:

﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ ﴾ (ص: ٢٦)

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلق ورتب وسائل صيانة صلاح بنى البشر ونظام معاده ومعاشه خاليا وجوده وبقائه من الفساد والخلل وفق الحكمة الربانية، وجعل الخليفة وسيلة فى تدبير أموره لأن ترك بنى البشر لأنفسهم يؤدى إلى الظلم والبغى والتعدى وإفنائهم وانقطاع نسلهم وانفصامهم.

وهذه الحال تنافى أحكام المشيئة الإلهية، لهذا لزم وجود خليفة حكيم قادر على دفع الظلم والعدوان، مدبر للشئون محافظة على حياة الإنسانية، وعلى هذا يجب أن تقوم صلاحية الخليفة الشرعية وأن نعلم مَنْ ذلك الشخص الذى يستحق أن يطلق عليه اسم الخليفة.

وقسم حكماء علماء الإسلام حكومة الملوك وسياستهم التى تكفل انتظام حياتهم الدنيوية وأحوالها إلى ثلاثة أقسام هى الخلافة، السياسة والطبيعية.

الخلافة:

إحدى أقسام الحكومات الثلاثة ويطلق عليها الإمامة أيضا حكومة الخلافة، وهى دولة عادلة وسلطنة فاضلة. ويقوم صاحب هذه الدولة بجعل أحكام الشريعة نصب عينيه فى جميع الأمور العامة والخاصة. وبما أنه يحكم ويتصرف فى عامة المصالح الدينية والدنيوية وفقا لقوانين الشرع والعدل فمدار الخلافة الأصلى هو حفظ قواعد الشريعة، وضبط سياسة الأمة قائمًا مقام صاحب الشريعة (عليه أفضل التحية)، وكائنا سلطانا ذو شوكة وقوة، وبناء على هذا سمى هذا النوع من الملك والحكومة: «الخلافة».

٢ ـ يطلق على القسم الثانى من الحكومات الثلاث حكومة سياسية. لما كان هذا النوع من الحكومة سلطنة فالهيئة التى تشكل هذه الحكومة تتخذ إعمال الفكر والنظر دستورًا لها، وتدبر دولتها بما ينظم عقلاؤها وحكماؤها من القوانين والنظم.

إن النظم والقوانين التى رتبت بناء على العقل البشرى القاصر والفكر الفاتر لا تستطيع أن تؤمن ما يحتاج إليه الأفراد من سبل المعاش، وتنظيم أمور المعاد كما يبين ذلك قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (الروم: ٧)

فمثل هذه السلطنة التى تنشغل بالمنافع الدنيوية فقط ليست مقبولة لدى الشرعيين.

٣ ـ يسمى النوع الثالث من الحكومات حكومة طبيعية لا يأخذ المفسرون الساعون إلى تشكيل الحكومة التى يطلق عليها حكومة طبيعية فى الاعتبار

مقتضيات العقل والشرع، وإنما يقصرون حكمهم ـ مثال قطاع الطرق والبغاة الظلمة ـ على العنف وغصب الأموال وقتل النفوس والحركات غير المشروعة والتعديات الظالمة.

وبما أن هؤلاء قد سلموا زمام أمرهم وتدبيرهم للنفس الأمارة بالسوء، ولما كان بصرهم وبصيرتهم فى غاية الظلام من ناحية الخير، فهم لا يستهدون إلى الخير أبدا، ولا يسلمون أبدا من الخطأ والقتل وفقا لمدلول قول الله تعالى:

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ (النور: ٤٠)

وقد أنعم الله ـ سبحانه وتعالى ـ على البشر بالعقل والقدرة والرشد والبصيرة، وبين لهم فى الكتب المنزلة ما ينفعهم ويصلح من شأنهم، وما يخص معاشهم ومعادهم، وحذرهم من الانهماك فى الشرور والمفاسد، لأن جزاء الخير والشر يعود لفاعله، وانقراض دول ملوك الطوائف وبغاة المسلمين الذين لوثت أفعالهم المذمومة صفحات كتب التاريخ لدليل واضح على إثبات ذلك.

قد انقرضت تلك الدول بظهور سلاطين الدول الإسلامية الذين حكموا بالعدل، وكانت القوة والمتانة من أحلافهم، وبناء على هذا من واجب الأمة البحث عن إمام عادل تعيش تحت حكومته العادلة وسلطنته الفاضلة، وقد ثبت ذلك باتفاق آراء الصحابة العظام والتابعين الكرام واتفق على هذا علماء المسلمين الأعلام بإجماع الأمة، وحينما ارتحل النبى ﷺ، عن دنيانا إلى مقر الراحة الأبدية أسرع الصحابة بمبايعة الصديق الأكبر.

ومازالت البيعة تجرى على هذا النهج إلى عصرنا هذا، ولم يترك أحد هذه السنة السليمة الغاية فى أى عصر من العصور مدعيا الانفراد والاستقلال برأيه، والإجماع القطعى سند قوى فى الدلالة على الأحكام الشرعية وصحتها، وبناءا

على هذا يكون قد ثبت وجوب انخراط المسلمين فى كل العصور فى سلك إدارة خليفة ثابت بأدلة قطعية لدى المسلمين.

وطاعة خليفة العصر والزمان واجبة شرعا، وكذا الخضوع لكل أوامره ونواهيه التى توافق القوانين العادلة التى اقتبست من مشكاة أنوار الشريعة الغراء. ومن المصلحة العامة إخراجها إلى حيز الوجود، كما يجب شرعا تنفيذ أوامر إمام المسلمين إذا كان ما طلب من الإنسان مباحا، وكان الخليفة يؤدى مهمة الخلافة وأفعالها وفقا للأحكام الشرعية ويطبقها فقد صرح له أن يستقل برأيه فى اتخاذ القرارات بناء على قول الله تعالى ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١٥٩) وإن كان مأمورا باستشارة عقلاء قومه، فإن الذى يتولى مقام الخلافة الجليل ملهم من الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومؤيد بأوامره ونواهيه، وبما أن السلاطين العثمانيين أعدل من ملوك الأسلاف فى إجراءاتهم الدينية وحركاتهم بأدلة شرعية متعددة، وإنهم أتم وأكمل منهم فى خدمة الدين ورعاية جانبه، وبما أن أساس سلطنتهم مبنى على قواعد الشرع الكريم؛ فكل أمر يصدر من مقام الخلافة الجليل وفى أى وقت فالخضوع له وتنفيذه قد وصل إلى درجة الوجوب، ويكفى لإيضاح هذه الحقيقة أن سكان الأراضى الحجازية السعيدة التى كانت مطلع أنوار الإيمان والدين، وهدف المسلمين وغايتهم يراجعون دار الخلافة السنية لإزالة شبهاتهم الدينية، وحل خلافاتهم، ويستدل على مراعاة السلاطين العثمانيين فى أعمالهم وأفعالهم الموافقة لتعاليم الدين العديد من الكتب التى تزين دور الكتب مصنفات الأسلاف القيمة، حتى أن رمزا من رموز العلوم الباقية وهو عثمان باشا الغازى كان قد كتب عدة كتب قبل أن يرفع علمه مغادرا الحياة، يظهر فيها عدالة سلاطين الدولة العثمانية، وكيفية استهلال حكمهم وكيف يستطيع رعاياهم أن يعيشوا قريرى العين، مرفهين آمنين تحت حمايتهم.

وندرج هنا ما كتبه سيد الآراء والقدسية المعنوية وصدرها السيد «صدر الدين» القنوى فى مقال له فى شرح الشجرة كما هى حتى نقيم دليلا على مدعانا.

صورة المقالة

واعلم أن لهذه الدولة تأصيل نسب وعلو مرتبة بأصل صحيح، يعلم منه شرف مقاماتهم العلية، وذلك التأصيل فى الآية الشريفة قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (فاطر: ٣٢)

فقد دخلوا ضمن الآية الشريفة لكونهم من أمة محمد ﷺ، مع من أشارت إليه الآية فلاشك أنهم فى سلكها مُنْدَرِجُونَ ومن التأصيل المشار إليه أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ أى الصلاحية لهم، فهم بالنسبة لغيرهم من أصلح الدول بعد الصحابة والتابعين؛ لوجود النعت فيهم وانقيادهم للشرع الشريف، وتمكينهم من رتبة العبادة والخدمة كالصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وملازمة الجماعة واتباع السنة وحسن العقيدة، وقل أن يوجد ذلك بكماله فى دولة من الدول الذين تقدموا وأما لفظة (لبلاغًا) فهى إشارة تفيد العلم بالوقت المنتظر، وكفى بذلك توفيقًا لمن أيقظه الله تعالى وفتح عين بصيرته فرأى الصلاح فيهم ظاهرا، وسيظهر ذلك إن شاء الله تعالى ونشاهده عند ظهور دولتهم، فافهم.

فائدة عظيمة، لا يستغنى عنها:

اعلم أن ظهور هذه الدولة قد حكاه ونبه عليه صاحب الأصل فى خطبة البيان بإشارة واضحة. وذكر أن ظهورها الإحاطى فى (بكلظ) وانتهاء ظهورها فى «دسغ» وإنها ستظهر على غالب المعمور من وجه البسيطة ويقهرون من ناوأهم، وينتهى سير جنودهم إلى الجزيرة الكبرى يفتحها الله على يد (م و ح) من المدن

المنسوبة إلى معنى الإشارة، وتفتح (م) بالتسليم وأخرى (و) بهول عظيم وأخرى (ح) بحسب رحيم وأخرى برعب عميم».

(عن شرح شجرة لصدر الدين القنوى)

هذه المقالة العظيمة التى كتبها أرباب الإيمان بمحض الإلهام من الله ـ سبحانه وتعالى ـ والتى تتضمن إشارات معنوية مقتبسة من الحقائق الكونية، والتى تشير إلى الفتوحات.

وفى عام ٩٢٢هـ دخلت مصر فى حوزة التسخير، وتلقب سلطان العثمانيين بـ«خادم الحرمين» إلى غير ذلك أيضا مما يشير إلى نبوءات أهل الإيمان، بظهور أمير المؤمنين سلطان الموحدين الغازى عبد الحميد خان الثانى الذى تجلى العدل وعم فى عهد سلطنته. وبقطع النظر عن التبشيرات المعنوية للمقالة المذكورة؛ فإنه فى الوقت ذاته، لما كان تجديد قوة أساس بنيان هذه الدولة المهون بين الدول المتحفزة كان منوطا بالإرادة الجليلة للمولى عز وجل، ندعو الله أن يؤيد سلطاننا العادل، ويديم للخلافة سلطانا عادلا عاملا، فهو منذ يوم جلوسه المبارك على عرش الدولة وهو يعمل ليل نهار على إحياء مجد الدولة، وراحة رعاياها وذلك بجدية وإيثار، وغير هذا فآثار خليفة سيد المرسلين الذى يحمل لقب «خادم الحرمين» ظاهرة فى كل آن وزمان لعيون المسلمين، كما أن المجاورين والأهالى يسعدون بما ينعم عليهم من خيرات لا تعد ولا تحصى، كما أنه بذل الجهد وأنفق الأموال لتكون مكة المكرمة (شرفها الله تعالى إلى يوم القيامة) أجمل البلاد، بل تمتاز عليها جميعها وذلك تقديرا لمكانتها وقداستها، وكل هذه الأعمال ظاهرة لأعين الحجاج مما يعجز القلم عن تفصيلها وذكر مفرداتها، وخلاصة القول فهؤلاء الذين أدركوا عصر هذا السلطان الذى يصرف كل أفكاره العادلة ويوجهها

لتأييد أحكام الشريعة الغراء وتطبيقها وتأمين رفاهية الأهالى وسعادتهم وسعادة الخلق جميعا.

وها هو ذا محرر هذه الحروف أدرك عصر ذلك الخليفة الذى انتشر فيه عدله الملوكى، وأتم الجزء الأول من «مرآة الحرمين» وهو «مرآة مكة» وطبعه.

وإننى لأعتبر نفسى أسعد الناس من الناحية المادية والمعنوية إذا وفقت فى أن أعرض هذا الكتاب، وأن أضعه تحت الأنظار السلطانية وهذا شرف أقدمه على جميع أنواع المزايا الجليلة وقدمتها.

والسلام على من اتبع الهدى، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وآلهم أجمعين وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

* * *